M/909.530
151/259

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945

– قالمة –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ والآثار

التخصص: تاريخ عام

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام بعنوان:

علاقة فقهاء السنة بالسلطة في العصر العباسي الأول

(132هـ-232هـ/750م-847م)

إعداد الطالبة:

– رحايلي حياة

تحت إشراف الأستاذ:

– طوهارة فؤاد

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
د. رابح اولاد ضياف	أستاذ مساعد أ	رئيسا	قالمة
أ. فـــؤاد طـــوهارة	أستاذ مساعد أ	مشرفا	قالمة
أ.د. كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي	عضو مناقشا	قالمة

السنة الجامعية: 2014-2015

15/259

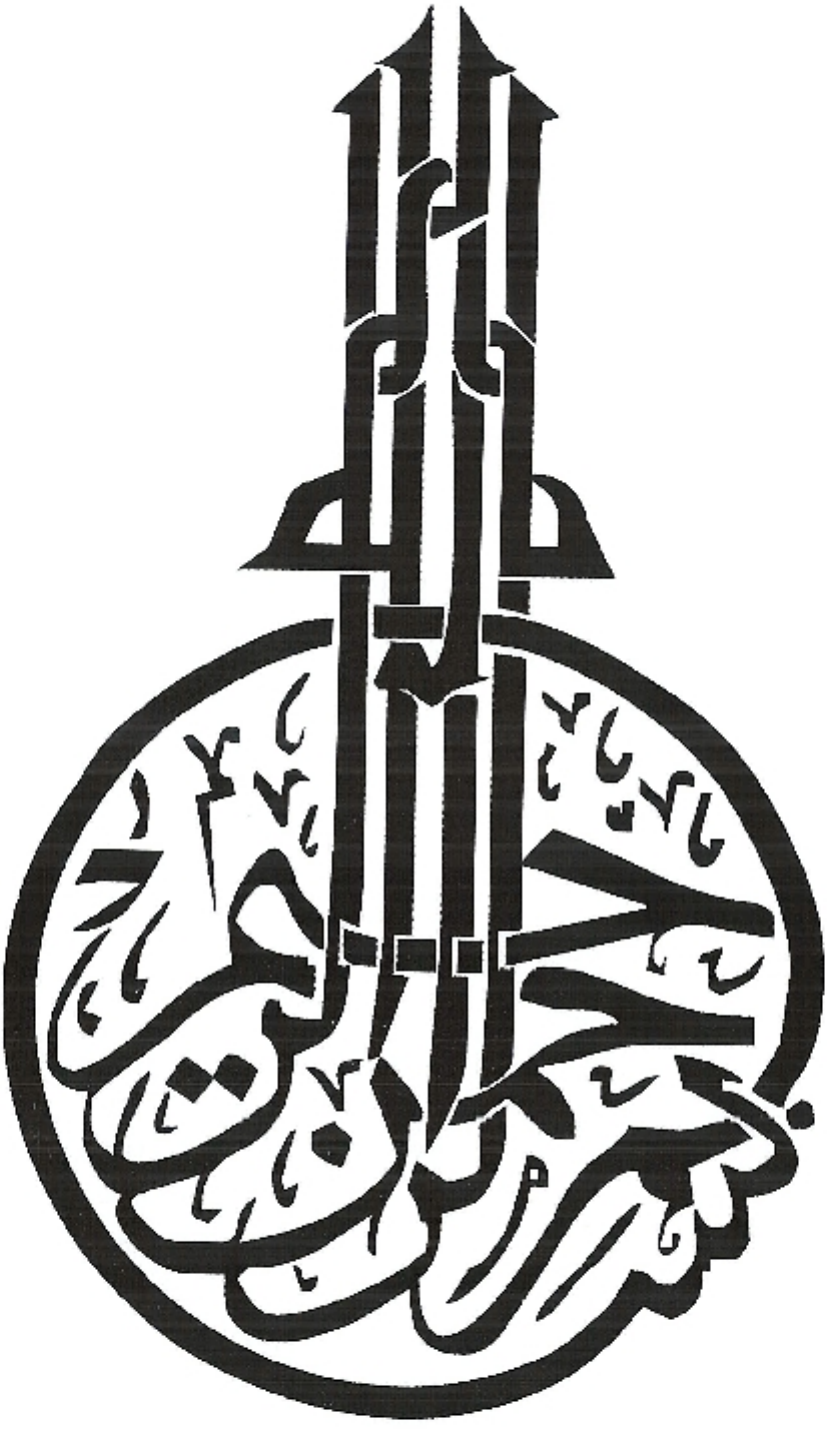

قال الإمام أبو حنيفة النعمان:

« علمنا هذا رأي وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن قدر على غير ذلك فلـــه ما رأى ولنا ما رأيـــنا »

شكر وعرفان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لا يشكر الله من لا يشكرالناس"

وعليه كان لزاما علي أن أشكر أستاذي ومشرفي الاستاذ طوهارة فؤاد أولا لاقتراحـــه علي هذا الموضـــوع الذي كان من أمتـــع المواضيع التـــي درستها وبحثت فيها وثانيا لنصائحـه وارشاداته القيمة إذ كان لي خير معين ليس في فترة إعـداد مذكـرة التخرج فحسب بل طوال مشواري الجامعي.

إهداء

الحمد لله الذي كان لي خير سند وخير معين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الخلق وخير البرية وصحبه إلى يوم الدين.

أُهدي هذا العمل المتواضع إلى روح والدي الطاهرة الذي لم يترك وراءه شيئا غير سيرته العطرة وأخلاقه الحميدة بين الناس.

إلى من أدين لهما بالفضل بعد ربي عز وجل أعز من في الوجود أمي الغالية الطاهرة أطال الله عمرها.

وعزّتي بالحياة ومفخرتي في هذه الدنيا أخي الحبيب الذي تلقيت على يديه أروع دروس الأخلاق والأدب، وتعلمت منه أن من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الأخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم.

أرجوا من الله سبحانه أن يطيل عمرهما ويرياني في أعلى المراتب ان شاء الله.

إلى جميع اخوتي و أخواتي وأبنائهم ارجوا من الله توفيقهم في حياتهم جميعا خاصة أختي الغالية جميلة وابنتيها الحلوتين نهال وابتهال.

إلى من تقاسمت معهم أروع لحظات حياتي الجامعية صديقاتي العزيزات الطيبات الجميلات الـ..... نجلاء، سارة، انصاف، خولة.

أخص بالذكر صديقتي العزيزة الغالية الوفية إلى اخر العمر سارة.

إلى من تقاسمت معه عناء هذا العمل وتحمس له أكثر مني أحيانا الأخ الفاضل فيصل.

إلى مهجتي فؤادي ونور عيوني صغيري آدم وأسامة ارجوا من الله أن يطيل عمري لليوم الذي أراكما فيه عريسين.

إلى من يحبني من قريب أو من بعيد

حياة

قائمة الرموز والمختصرات

الرمز	الدلالة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
مر	مراجعة
مج	مجلد
ط	الطبعة
ج	الجزء
ت	توفي
ص	صفحة
هـ	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
د.ط	دون طبعة
د.ن	دون ناشر
د.م.ن	دون مكان نشر
د.ت	دون تاريخ
/	الحد الفاصل بين التاريخ الهجري و الميلادي
﴿ ﴾	حصر الآيات القرآنية

مقدمـــة

من أبرز ملامح العالم الاسلامي خلال العصور الوسطى هوالنفوذ الذي تحقق للفقهاء والتزايد الاطرادي في عددهم على مر السنين مقارنة مع العلماء ذوي الاهتمامات الأخرى، ولعل من الأسباب الرئيسية في ذلك المكاسب الأدبية والمادية التي تحققت لهم نظرا للسلطة الروحية والعلمية التي حازوا عليها، بوصفهم من ابرز الشرائح الفاعلة في الحضارة الاسلامية، هذا ما جعلهم في احتكاك واسع ومباشر مع السلطة السياسية بحيث أصبح من الصعب التأريخ للسلطان وبعض أجهزة الدولة بمعزل عن الفقهاء، وبذلك شكل التأريخ للسلطتين قوام الكتابة التاريخية في العصر العباسي وفي العصر الاسلامي عموما.

ولما كانت السلطة في الاسلام تأخذ مشروعيتها من الدين بمصدريه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فإنه كان لزاما على من يريد استيلام السلطة أن يؤسس شرعية حكمه على الدين بمعنى تقديم قراءة للدين وتأويل لنصوصه بحيث تمكنه من استصدار قبول وتأييد الجماعة الاسلامية، الأمر الذي حرص الخلفاء العباسيون على القيام به بمساندة بعض الفقهاء.

وبما أن الدولة العباسية قامت على اثر دعوة دينية سياسية مدة من الزمن رفع فيها العباسيون مختلف الشعارات الدينية وروجوا خلالها بأن حكمهم سيكون قائما الكتاب والسنة وبذلك جعلوا الدين الركن الأساسي للدولة فقد حرصوا منذ البداية على صبغ حكمهم بالصبغة الدينية وعملوا على تعزيز مشروعيته ولم يكن ذلك ليتحقق دون التقرب

للفقهاء خاصة السنة منهم أومن سميوا بأهل السنة والجماعة فهم يمثلون السواد الأعظم أوجمهور الأمة وأغلبيتها.

إن تناول علاقة الفقهاء السنة بالدولة العباسية هو تناول علاقة ثنائية المسار من السلطة باتجاه الفقهاء ومن الفقهاء باتجاه السلطة على اعتبار تأثير كل طرف على الطرف الآخر.

وأصول هذه العلاقة أو المكانة بين الفقيه والسلطان في الدولة العباسية لم يكن مجرد رغبة السلطان في الاستفادة من كفاءة الفقيه بقدر ما كان صنيع اعلامي تكتسب منه الدولة ما يظل ينقصها من شرعية، وتحاول به تغطية ما يذهب عنها الريبة والاشتباه الشرعي.

وبعد البحث والدراسة في هذا الموضوع تحتم طرح عدة تساؤلات قوامها:

- ما ملامح العلاقة بين الفقهاء السنة والسلطة في العصر العباسي الأول وماهي أهم انعكاساته السياسية والفقهية؟
- ماموقف الحكام من الفقهاء في العصر العباسي الأول وما مدى قيام الحكام بأدوارهم المنوطة بهم اتجاه الفقهاء؟
- ما موقف فقهاء أهل السنة والجماعة من صحبة الحكام والعمل لهم وقبول أعطياتهم، وما مدى قيام الفقهاء السنة بأدوارهم المنوطة بهم اتجاه الفقهاء؟

- ما موقف فقهاء أهل السنة والجماعة من صحبة الحكام والعمل لهم وقبول أعطياتهم، وما مدى قيام الفقهاء السنة بأدوارهم المنوطة بهم اتجاه الحكام من حيث تقويمهم ونصحهم وارشادهم؟
- وماهي أهم الوظائف التي تقلدها هؤلاء الفقهاء في الدولة؟
- وعلى أي أساس كان يتم اختيارهم ووتعيينهم في تلك المناصب؟

وقد اقتصرت في بحثي هذا على دراسة الفقهاء السنة وعلاقتهم بالسلطة في العصر العباسي الأول (132هـ/750م-232هـ/847م) على اعتبار أن هذا العصر هو عصر التأسيس والقيام وبناء أركان الدولة ،وكذا العصر الذي عاش فيه كبار الأئمة ومؤسسي المذاهب الفقهية الأربعة الإمام مالك بن أنس، الإمام أحمد بن حنبل، الإمام أبو حنيفة النعمان والإمام الشافعي دون أن ننسى الفقهاء الذين تتلمذوا على أيديهم أو عاصروهم كالإمام الأوزاعي، سفيان الثوري، الأصمعي.....، فهو إذا عصر غني بكل ما تحمله الكلمة من معنى لأنه العصر الذي عاصر فيه أجل فقهاء الفقه الاسلامي أعظم رجال الحكم الاسلامي لذا أردت تسليط الضوء على رأي الائمة والفقهاء الكبار في مشروعية الحكم العباسي في أول ظهوره وكذا الدور الذي لعبه بعضهم في التمكين للخلفاء وتدعيم حكمهم.

وتأتي دوافع إختياري لموضوع علاقة الفقهاء السنة بالسلطة العباسية أو علاقة الفقه بالسياسة أولا لميولي نحومواضيع الفقه والمذاهب وكذا المواضيع السياسية فكانت رغبتي

الشخصية في دراسة موضوع يدرس الجانبين الفقهي والسياسي معا، وذلك محاولة مني لمعرفة سر تأثير الديني على السياسي في تجربة الحكم الإسلامي، خاصة وأن ذلك لم يكن في الماضي فحسب بل نعيش تأثيراته إلى يومنا هذا.

وللتمكن من الإلمام بالموضوع انتهجت المنهج الوصفي وذلك بتتبع الظاهرة محل الدراسة حسب ما وردت في كتب الفقه والتاريخ انطلاقا من النصوص والروايات، والمنهج المقارن وذلك بالمقارنة بين الفريقين من الفقهاء فريق مساند للحكم وفريق معارض له وبنيت هذه المقارنة على إختلاف مواقف وأفعال وكذا آراء كلا الطرفين، دون إغفال المنهج التحليلي وذلك بتحليل النصوص ونقدها نقدا تاريخيًا، ومحاولة استنطاق المجهول بالبحث عن الأسباب والعوامل الخفية.

وقد قادتني طبيعة الموضوع الفقهية للإعتماد شبه الكلي على المصادر ذلك أن الدراسات في هذا الجانب قليلة إن لم أقل نادرة فاضطررت للرجوع للروايات الأصلية وذلك حرصا مني على تسليط الضوء على الروايات كما جاءت في مصادرها الأصلية أوالأولية دون تعرضها للتوظيف من طرف الباحثين.

واعتمدت في بحثي هذا على مصادر تاريخية كان أهمها مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي والفخري لابن الطقطقي والبداية والنهاية لابن كثير، الأخبار الطوال للدينوري وهي تكاد تتشابه وتتطابق في الروايات المسرودة، اما الكتاب الذي اعتمدت

عليه كثيرا وأثرى البحث هو كتاب الخطيب البغدادي الموسوم بتاريخ بغداد وهو كتاب غزير الروايات كثير الأحداث، غنية تراجمه بتفاصيل كثيرة.

ولم يفتني الاعتماد على كتب تختص وتدرس المذاهب والفرق الاسلامية ككتاب الفرق بين الفرق للبغدادي والملل والنحل للشهرستاني ومقالات الاسلاميين واختلاف المصلين للأشعري، وهي كتب أفادتني كثيرا في التأريخ لأشهر المذاهب والفرق التي ظهرت أوتبلورت أوائل العصر العباسي ،وكذا في التأريخ لأهل السنة والجماعة كفرقة من فرق الأمة الاسلامية.

وبما أن بحثي هذا يتطرق لعلاقة الفقهاء بالخلفاء أي جوهره ولبه حياة أفراد ومواقفهم وأفكارهم كان لابد من استخدام كتب الطبقات والسير والتراجم وكان أهمها كتاب وفيات الأعيان لإبن خلكان الذي أثرى الموضوع بعدة أخبار وروايات وكتاب سير أعلام النبلاء للذهبي الذي كان أكثر في أعداد الافراد المترجم لهم.

وكتب عنيت بالترجمة لفقهاء السنة ولائمة الأمة دون سواهم ككتاب طبقات الفقهاء للشيرازي وكتاب الطبقات الكبير لابن سعد وصفة الصفوة لابن الجوزي، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ليوسف المزي وتهذيب التهذيب للعسقلاني.

وكان لزاما علي الاعتماد في أول البحث على بعض المعاجم للتعريف ببعض المصطلحات لذا استعنت بمعجمي تاج العروس ولسان العرب وللتعريف ببعض الأماكن اعتمدت على ياقوت الحموي.

وبما أن البحث يدرس علاقة الفقه بالسياسة كان من البديهي التعرض لأحاديث نبوية شريفة لذا اعتمدت على عدة كتب في هذا وهي ،صحيح مسلم وعون المعبود في شرح سنن أبي داوود وكتاب الترميذي: نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول.

أما المراجع فيمكن تصنيفها إلى أربعة أنواع: كتب اعتمدت عليها لتتبع المسار التاريخي للدولة من الدعوة وحتى عصر المتوكل مثل: الثورة العباسية لفاروق عمر، وعبد العزيز الدوري العصر العباسي الأول وهي كتب عامة تتضمن دراسات في التاريخ العباسي عامة وكتب تختص بدراسة الفرق والمذاهب الاسلامية ككتاب عبد الرحمن بدوي: مذاهب الاسلاميين، ومحمد الفيومي: الفرق الاسلامية وحق الامة السياسي، إلياس دردور: تاريخ الفقه الاسلامي، أما النوع الثالث فكتب اختصت بسير أفراد دون سواهم وتتمثل في كتب محمد أبوزهرة والتي أرخ من خلالها لأئمة الفقه الكبار، وقد أفادتني كثيرا في معرفة حياة هؤلاء وطبيعة علاقتهم بالسلطان ورأيهم في حكم بني العباس، حيث أسهب المؤلف المذكور في سرد روايات في هذا المجال، ولا يفوتني ان أذكر كتابين أفادا البحث كثيرا وهما كتاب علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول

لأحمد اسماعيل الجبوري وكتاب العلماء والسلطة في العصر العباسي الأول لعبد الحق سيف الدين.

وبعد البحث والنظر والقراءة الأولية في الموضوع ومحاولة مني للإلمام به ارتأيت تقسيمه إلى ثلاث فصول إضافة إلى مدخل، هذا الأخير الذي تطرقت فيه للوضع التاريخي للدولة العباسية في طورها الأول من الدعوة حتى عصر المتوكل على اعتبار أنني لم أخرج فيه عن سرد أحداث تاريخية مترابطة ومتسلسلة منذ قيام الدعوة في الحميمة وحتى وفاة المتوكل الذي بوفاته أخذ منحنى الدولة بالسقوط والهبوط مرورا بكل الخلفاء العظام الذين أسسوا الدولة العباسية وبنوا أركانها وأهم الأحداث البارزة التي ميزت عصر كل واحد منهم.

أما الفصل الأول فقد عنونته بالفقه والفقهاء في مطلع العصر العباسي على اعتبار أنني درست فيه كل مايتعلق بهذا العلم وبأصحابه في الفترة موضوع البحث ابتداء من دلالة الفقه بين اللغة والاصطلاح وكذا اشهر المذاهب الفقهية في تلك الفترة، ثم عرجت على أفضلية هذا العلم الذي عد من أشرف العلوم ومكانة الفقه وجهود حامليه التي جعلت له مكانة مقدسة في الدولة الاسلامية عموما، وفي الدولة العباسية خصوصا، ثم عملت على التأصيل لفرقة أهل السنة والجماعة ونشأتها وبعد الغوص في فترة موضوع البحث وجدت أن هناك مدرستين للفقه الاسلامي اختص بهما مصرين من أهم أمصار الدولة العباسية وهما الكوفة والمدينة إذ ساهم كل مصر في بلورة المدرسة الخاصة به، إذ اعتمد

أهل الكوفة على الرأي فسميوا أصحاب الرأي وأسهب أهل المدينة في دراسة الأثر والحديث فسميوا أصحاب الحديث.

وبما أنني بصدد دراسة طبيعة العلاقة بين الفقهاء والخلفاء فإنني ارتأيت تخصيص فصل للفريق الذي عارض الحكام وقاطعهم وهجرهم وفصل للفريق الذي آزرهم وساندهم فكان عنوان الفصل الثاني الفقهاء ومعارضة السلطة العباسية تم التطرق فيه لروايات وتفاصيل تاريخية تبرز مواقف فقهاء سنة سلكوا أسلوب المقاطعة والهجرة والتحذير من الاقتراب من أجواء السلطة والسلطان وقد اختلف أسلوب هؤلاء في مقاطعة الخلفاء ففي الوقت الذي أختار فيه الامام أبوحنيفة دعم ثورة محمد ذوالنفس الزكية وأجاز الخروج على السلطان وأفتى مالك ببطلان البيعة رأى جمهرة من الأئمة التزام الجماعة وعدم الخروج على الحاكم وإن كان جائرا ظالما، ولكن بعد استقراء عميق للنصوص والمواقف اتضح لي جليا أن هؤلاء ورغم تمسكهم بالحكم العباسي فذلك لا يعني رضاهم عنه بل درءا للفتن فهم لم يجيزوا الاقتراب من الحكام، وانتهج الفقهاء أسلوب مقاطعتهم وهذا برفض تقلد مناصب في الدولة، الامتناع عن هبات السلطان وغير ذلك.

أما الفصل الثالث فعنونته بالفقهاء ومساندة السلطة العباسية، وقد حاولة من خلاله إبراز الفريق الذي كانت تربطه علاقة جيدة بالسلطة العباسية مما أدى بهم إلى الاشتراك في أجهزة الدولة المختلفة والتي كان القضاء أهمها وأكبرها، كما تم عرض مواقف بدا فيها بعض الفقهاء يتزلفون للخلفاء حرصا على بقاء مناصبهم أواستجداءا لما في أيدي االخلفاء

من أموال حتى توصل الأمر ببعضهم إلى وضع الأحاديث والكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم.

هذا لا يعني أن هناك جمهرة من الفقهاء أدوا هذه المناصب بكل نزاهة وعدل ووقفوا في وجه الحكام والولاة.

وقد أنهيت بحثي هذا بخاتمة فيها النتائج التي توصلت إليها بعد إتمام البحث في علاقة الفقهاء السنة بالسلطة، ولإثراء البحث زودته ببعض الملاحق وأنهيته بقائمة للمصادر والمراجع.

أما عن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث فهي عديدة ومتنوعة أهمها:

- صعوبة العثور على المعلومة وخاصة أنني اعتمدت كثيرا على كتب الطبقات وهي كتب ذات ألفاظ صعبة وعبارات مبهمة.
- كثرة الشخصيات وتنوعها في هذا العصر مما جعلني أكثر من التراجم.
- صعوبة ايجاد خطة مناسبة إذ أن الموضوع متشعب ومتداخل ودقيق فهناك فقهاء أخذوا أموالا من السلطان وفي نفس الوقت عارضوه وخير مثال على ذلك الإمام مالك بن أنس فكل المصادر تورد حادثة بطلان البيعة وجلها يورد قبوله أموال الرشيد كما أن هناك فقهاء عملوا لدى السلطان ولكنهم لم يكونوا مؤيدين له أوكان محبذا ذلك لديهم وهوما وضعني في حيرة من أمري حيال هذا النوع من الفقهاء.
- تضارب الروايات والاراء في بعض الأحيان.

المدخـــــل

المدخل:

نشأت الدولة العباسية على إثر دعاية واسعة النطاق دامت حوالى ثلث قرن ضمت إلى صفوفها كل من عادى الأمويين[1]، فقد كان للعنت الذي تعرض له آل البيت والقسوة التي طالتهم على يد مناوئيهم من بني أمية دور في التفاف فئات كبيرة من المسلمين حولهم والتعاطف مع قضيتهم[2].

إذ ينظر المسلمون إلى آل البيت نظرة احترام وتقدير وكان لهذه النظرة أثر كبير في الحياة السياسية عامة[3]، وربما انحصر آل البيت في أبناء علي رضي الله عنه من زوجه فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث انقطع عقب رسول الله إلا منها، هذا إضافة إلى قرابة علي وسابقته في الإسلام وجهاده أعداء الله وإصهاره لرسول الله، ولهذا رأى بعض المسلمين في كل هذا سبب في أحقيته بالخلافة، وأحقية أبناءه من بعده [4]وهم من سميوا بالشيعة[5].

---

[1] عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1945، ص9.

[2] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن ابي بكر،تاريخ الخلفاء، تح: محي الدين عبد الحميد، مطبعة الفجالة الجديد، د ط، مصر، 1969، ص252.

[3] محمود شاكر، التاريخ الاسلامي: الدولة العباسية: الكتب الاسلامي، ط1، بيروت، 2000، ج5، ص45.

[4] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، ط14، بيروت، 1996، ج2، ص14.

[5] الشيعة: انصار علي رضي الله عنه الذين شايعوه وقدموه وفضلوه على سائر أصحابه واعتبروا أن الخلفاء الثلاثة الأوائل غير شرعيين. ينظر: نبيلة حسن محمد، في تاريخ الدولة العربية، دار المعرفة الجامعية، دط، مصر، 2004، ص331.

وقد أثار قتل الحسين حماسة المسلمين فتوحدت صفوف الشيعة وزادت الدعوة لآل علي قوة، وقد انتقلت الإمامة من بيت علي إلى بيت العباس على يد أبي هاشم بن محمد بن الحنفية زعيم الشيعة الكيسانية.[1] [2]

ذلك أن الأخير أثناء مروره ذاهبا وجائيا من الشام عند سليمان بن عبد الملك[3] مرض عنده بالحميمة[4]

وهلك هناك وأوصى لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس[5] بالأمر فلما مات أبو هاشم قصدت الشيعة محمد وبايعوه سرا وبعث دعاته منهم إلى الآفاق وكان ذلك سنة (98هـ/716م).[6]

---

[1] الكيسانية: أتباع المختار بن عبيد الثقفي الذي قام بالثأر للحسين بن علي وقتل أكثر الذين قتلوه بكربلاء، وأصل تسميتهم بالكيسانية أن المختار كان يدعى كيسان. ينظر :البغدادي،عبد القاهر بن الطاهر، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، دط، بيروت، 1990، ص38.

[2] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص14.

[3] سليمان بن عبد الملك، أبو أيوب بن عبد الملك بن مروان بن الحكم أمة ولادة أم أخيه الوليد، كانت خلافته سنتين وثمانية أشهر. ينظر: ابن خلكان،ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، د.ط، بيروت، 1971، مج2، ص279.

[4] الحميمة: قرية صغيرة في أرض الشراة بين الشام والحجاز . ينظر: ابن خلكان، المصدر نفسه، مج3، ص278.

[5] محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أبو عبد الله والد المنصور والسفاح وند (50هـ/678م) توفي (726هـ/744م). ينظر: ابن خلكان، المصدر نفسه، مج4، ص188.

[6] ابن خلدون،عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي المغربي، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط: خليل شحادة، مر، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، لبنان، 2000، ج3، ص145.

وقد استطاع الدعاة استقطاب جميع فئات المجتمع وتوظيفها واستغلالها في انجاح ثورة الحلف العلوي العباسي.[1]

وفي سنة (125هـ/743م) توفي محمد بن علي وآلت إمامة الدعوة لابنه ابراهيم الذي لم يدخر جهدا في الإشراف عليها[2]، فابتدأ أمر بني العباس فظهر وكثر دعاتهم إلى سنة (128هـ/746م) إذ وجه الإمام ابراهيم رجلا يدعى أبا مسلم[3] إلى خراسان[4] وكتب معه إلى الشيعة بتأميره عليهم ففشت الدعوة ودخل الناس أفواجا.[5] وقد أعلن العباسيون ثورتهم سنة (128هـ/746م) وتمكنوا من إيقاع الهزائم المتتالية بالقوى الأموية على الرغم من جهود الوالي الأموي في خراسان آنذاك نصر بن سيار وطلبه النجدة من الخلافة في دمشق[6] والتي لم تكن في مستوى المجابهة وتوقع المخاطر.[7]

---

[1] أحمد عبد الرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط3، بيروت، 1999م، ص255.

[2] الأزدي، جمال الدين ابو الحسن علي بن ظافربن حسين،اخبار الدولة المنقطعة، تح: عصام هزايمية وآخرون، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، ط1، الأردن، 1999م، ج2، ص13.

[3] أبو مسلم الخرساني: منهم من رأى أنه من العرب ومنه من رأى أنه كان عبدا فأعتق، وقد نمى قدره إلى أن وصل إلى إبراهيم بن محمد الإمام فأنفذه إلى خراسان وأمر أهل الدعوة بإطاعته. ينظر: المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين،مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2005، ج3، ص200.

[4] خراسان: بلاد واسعة، أول حدودها ما يلي العراق وآخر حدودها ما يلي الهند وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها. ينظر: الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت ،معجم البلدان، دار صادر، دط، بيروت، د.ت، مج2، ص350.

[5] فاروق عمر، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، ط2، بيروت، 1985، ص142.

[6] فوزي عمر فاروق، طبيعة الدعوة العباسية، مكتبة الفكر العربي، دط، بغداد، 1987، ص183.

[7] شاكر مصطفى، دولة بين العباس، دار خالد بن الوليد، ط1، دمشق، 1973، ج2، ص151.

وقد توج العباسيون انتصاراتهم على الجيوش الأموية في خراسان بموقعة الزاب[1] في 11 جمادى (132هـ/750م). والتي انتهت دولة بني أمية لتبدأ دولة بني العباس في العراق وسائر الأقاليم[2] والتي على إثرها استلم الخلفاء العباسيون الحكم في العالم الاسلامي مدة خمسة قرون.[3]

ويذكر المسعودي أن أبو العباس السفاح قد بويع ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأخر من سنة مائة واثنين وثلاثين هجري.[4]

وقد انشغل أبو العباس في تثبيت أركان الدولة الجديدة فقضى على عامل الأمويين ابن هبيرة في واسط وتخلص من أبي سلمة الخلال داعية الدعوة العباسية في الكوفة الذي لقب بوزير آلي محمد وذلك بسبب محاولته نقل الخلافة من العباسيين إلى العلويين وتأخير البيعة لأبي العباس السفاح قبل أن تستقر الأمور له ويبايع البيعة التي ذكرناها.[5]

---

[1] الزاب: من زاب أي هرب وجرى وانسل مفرد زواب وهي الأنهار جرت عليه موقعة مشهورة بين مروان بن محمد والجيوش العباسية وسميت بيوم الزاب. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص198-199.

[2] أحمد اسماعيل الجبوري، علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول، دار الفكر، ط1، الأردن، 2009، ص15.

[3] حسين عطوان، الدعوة العباسية، تاريخ وتطور، دار الجيل، ط2، بيروت، 1995، ص348.

[4] المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص213.

[5] الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير،تاريخ الامم والملوك،تح:ابو صهيب الكرمي، دار الافكار الدولية، دط، عمان، ص1482 - 1485.

أقام الخليفة أبو عباس حينما بويع بمدينة الكوفة[1] ويبدو أنه لم يمكن مطمئنا لأهلها فنزل في مكان قريب منها عرف بهاشمية الكوفة واتخذتها مقرا له ولحاشيته سنة (132هـ/750م)[2].

غير أنه لم يلبث فيها طويلا وانتقل سنة (134هـ/752م) إلى مدينة الأنبار شمالي الكوفة على نهر الفرات ويبدو أن هذه المدينة اعجبته إذ بنى لنفسه مدينة عرفت بهاشمية الأنبار اقام بها حتى وفاته.[3]

ويذكر ابن كثير أنه توفي بالجدري بالأنبار سنة (136هـ/753م) وكان عمره ثلاث وثلاثين سنة[4]، وقد استلم الخلافة بعده أخوه أبو جعفر المنصور الذي وصف بأنه المؤسس الحقيقي للدولة العباسية.[5]

واجهت المنصور منذ ساعات حكمه الأول مصاعب متتابعة بين تمردات وحركات وثورات مناهضة لشخصه أو لدولة بني عباس عموما.[6]

---

[1] الكوفة: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسميها قوم خد العذراء وقيل سميت بالكوفة لاجتماع الناس بها. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص490.

[2] أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دط، بيروت، دت، ص41.

[3] المرجع نفسه، ص42.

[4] ابن الكثير، عمادالدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر،البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1998، ج13، ص293.

[5] ابراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، دار الكتاب العالمي، ط1، بيروت، 1989، ص32.

[6] أحمد ابراهيم الجبوري، المرجع السابق، ص16.

وكان الخطر الأول الذي واجه المنصور من عمه عبد الله بن علي الذي كان له الدور الأكبر في القضاء على الأمويين وتوحيد الجيوش العباسية الناشئة تحت إمرته والقائد الخرساني أبو مسلم الذي لا يقل خطورة في طموحاته عن ابن علي فقضى عليهما.[1]

أما عاصمة الخلافة فقد اهتم المنصور بإختيارها لأنه لم يرتاح إلى هاشمية الكوفة لأنها لم تكن منيعة[2]، لذا فقد بحث عن موقع أكثر ملاءمة يكون عاصمة للدولة من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية لاسيما بعد فتنة الراوندية.[3] [4]

فسار يرتاد الأماكن بنفسه حتى انتهى به الأمر إلى موقع بغداد.[5] ويذكر البغدادي أنه ابتدأ أساس المدينة سنة (145هـ/762م) واستمر البناء إلى سنة (146هـ/763م) وسماها مدينة السلام.[6]

---

[1] المرجع نفسه، ص18.

[2] عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص75.

[3] الراوندية: نسبة إلى عبد الله الراوندي وهم جماعة من الروافض قالوا ان عبد الله بن الحنفية أوصى إلى محمد بن علي بن عبد الله العباسي بالإمامة، فمحمد هذا هو الإمام في نظرهم، ثم ساقوها إلى المنصور ابنه وبالغوا في وصفه، ثم ان اخوانهم أخطوا بقصر المنصور بالهاشمية وزادوا قنطه. ينظر: عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الاسلامية، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1999، ص258-259.

[4] أحمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص19.

[5] بغداد: قال بعضهم: تفسيره: بغ داد أي أعطى البستان، كان المنصور أول من مَصَّرها وجعلها مدينة، وانتقل إليها من الهاشمية. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص457.

[6] الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي،تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 2001، ج1، ص375.

ويضيف البغدادي أن المنصور لما عزم على بناءها أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالذرع والمساحة وقسمة الأرضين، فمثل لهم صفاتها التي في نفسه ثم احضر الفعلة والصناع من النجارين والحفارين والحدادين وغيرهم ولم يبتدئ في البناء حتى تكامل بحضرته من أهل المهن والصناعات ألوف كثيرة ثم اختطها وجعلها مدورة.[1]

وقد كتب المنصور إلى الشام والكوفة وواسط والبصرة بإختيار قوم من ذوي الفضل والعدالة والفقه وإرسالهم إليه لذا فقد أصبح دور الخلافة في بغداد من انظر أدوار الحكم العربي.[2]

ويتضح أن إسم بغداد قد اقترن بإزدهار الحضارة العربية الاسلامية وفي شتى الميادين حيث شهد العصر العباسي الأول نشاطا فكريا وثقافيا وحولت بغداد إلى قبلة يقصدها العلماء والفقهاء لعرض معارفهم بعد اكتمال نضجها وتعدد مراكز العلم فيها.

واستطاع المنصور قبيل وفاته أن يحسم مشكلة ولاية العهد لابنه المهدي مبعدا عيسى بن موسى عنها[3]، وقد بويع للمهدي بن المنصور يوم السبت لسبع عشرة خلت من ذي الحجة سنة (158هـ/775م).[4]

---

[1] المصدر نفسه، مج1، ص376.

[2] الهمداني،ابن فقيه ابو بكر احمد بن محمد، بغداد مدينة السلام، وزارة الاعلام، ط1، بغداد، 1977، ص32.

[3] الطبري، المصدر السابق،ص 1630

[4] الدينوري،ابو حنيفة احمد بن داود، الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، مر: جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دط، د.م.ن، د.ت، ص386.

وقد خطى المهدي خطى أبيه فكانت أيامه شبيهة بأيام المنصور[1]، فعني بالمظالم وكان يجلس بنفسه للقضاء ويشارك في الحكم[2]، وكان شديدا على أهل الإلحاد والزندقة[3]، لا تأخذه في اهلاكهم لومة لائم[4]، وقد عين موظفا خاصا عرف بإسم صاحب الزنادقة لمطاردتهم.[5]

وشهد عصر المهدي ثورة المقنع[6] بخراسان سنة (161هـ/778م)[7]، وفي السنة الموالية خرج المحمّرة بجرجان[8] وخرج بقنسرين[9] ثائر يدعى عبد السلام اليشكري تم القضاء عليه.[10]

---

[1] ابن الطقطقي، محمد بن علي،الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، د.ط: بيروت، د.ت، ص179.

[2] أحمد اسماعيل الدوري، المرجع السابق، ص 20.

[3] الزندقة: فئة ملحدة ومحايدة عن الدين. ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ج4، ص384.

[4] ابن الطقطقي، المصدر السابق، ص179.

[5] الطبري، المصدر السابق،ص1639

[6] المقنع: المقنع الخرساني، اسمه عطاء، كان يعرف شيئا من السحر فادعى الربوبية، قبل قوم دعواه وعبدوه وقاتلوا دونه وكان لا يسفر عن وجهه بل اتخذ وجها من ذهب فتقنع به، لذلك قيل له المقنع. ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص263.

[7] عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص91.

[8] جرجان: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص119.

[9] قنسرين: كورة بالشام منها حلب وبينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص. ينظر: ياقوت الحموي، نفس المصدر، ج4، ص400.

[10] ابن الأثير، عز الدين علي بن ابي الكرم،الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987، ج5، ص238-243.

توفي المأمون سنة (218هـ/833م) وبويع أخوه أبو اسحاق المعتصم بن الرشيد يوم الجمعة لاثني عشرة ليلة خلت من رجب سنة (218هـ/833م)[1] ولعل أكثر ما ميز عصره هو اكثاره من استخدام الأتراك في جيشه وتفضيلهم على العناصر الأخرى وبناء عاصمة جديدة لهم وهي سامراء سنة (220هـ/835م) على بعد 150 كلم شمالي بغداد.[2]

وقد انتصر المعتصم على البيزنطيين في موقعة عمورية[3] في شهر رمضان (223هـ/838م)[4] وفي ذلك يقول أبو تمام الطائي:

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب.

وقد خلف المعتصم ابنه الواثق بالله سنة (227هـ/841م) الذي انتهج منهج المأمون وثقل نفسه بمحنة الناس في الدين فكان يعاقب من امتنع عن القول بخلق القرآن[5]، وقد اتسم عهده بالهدوء النسبي إذ كان متفقدا لرعيته يحسن إلى الناس وأهم ما ميز عصره تعاظم نفوذ الأتراك إلى درجة أن أصبح يهدد مصير الخلافة العباسية.[6]

---

[1] المسعودي، المصدر السابق، ج4، ص36-39.

[2] ابن العمراني، المصدر السابق، ص104.

[3] عمورية: بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم قيل سميت عمورية بسبب روم بن اليقر بن سام بن نوح عليه السلام. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص158.

[4] الأزدي، المرجع السابق، ص89.

[5] المرجع نفسه، ص93.

[6] أحمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص26.

ولما توفي الواثق خلفه المتوكل على الله الذي بويع له سنة (232هـ/846)[1] والذي عمل على اعادة الاعتبار لمؤسسة الخلافة وهيبة الخليفة والتحرر من التضييق والاستبداد الذي ظل يمارسه الأتراك على الدولة وعليه[2]. فحاول نقل مركز الخلافة إلى دمشق للحد من نفوذ الأتراك إذ صرّح علنا بمحاربتهم، وقد أمر بترك النظر والمباحثة في الجدال وأمر المحدثين بالتحديث واظهار السنة والجماعة فضرب بذلك المعتزلة مستعينا بالفقهاء من أهل السنة ومن تبعهم.[3]

قتل المتوكل بسامراء (247هـ/862م) وهو على خلوة مع وزيره.[4]

وبوفاة المتوكل على الله ينتهي العصر العباسي الأول بخلفائه العظام الذين كان لهم أثر ودور واضح في ازدهار وتطور الدولة حتى أنه سمي عند المؤرخين بالعصر الذهبي للدولة.

---

[1] المسعودي، المصدر السابق، ج4، ص71.

[2] أحمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص26.

[3] المرجع نفسه، ص27.

[4] ابن دحية، ابو الخطاب مجد الدين عمر بن الحسين الكلبي،النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تح: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، 2001، ص78.

الفصل الأول:

الفقه والفقهاء في مطلع العصر العباسي.

- المبحث الأول: المذاهب الفقهية في العصر العباسي الأول.
- المبحث الثاني: مكانة الفقيه والعلم الديني في الدولة العباسية.
- المبحث الثالث: أهل السنة والجماعة.

الفصل الأول: الفقه والفقهاء في مطلع العصر العباسي.

المبحث الأول: المذاهب الفقهية في العصر العباسي الأول.

أولا: تعريف الفقه:

لغة:

الفقه في الأصل اللغوي يأتي بمعنى "الفهم والفطنة" يقال: أوتي فلان فقها في الدين: أي فهما فيه[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾[2] وقوله عز وجلّ: ﴿إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[3]، وقوله عز من قائل: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً﴾.[4]

وقد يرد الفقه بمعنى العلم بالشيء ففي لسان العرب الفقه: العلم بالشيء والفهم له، يقال: أوتي فلان فقها في الدين أي فهما فيه وفقه فقها: أي علم علما.[5]

---

[1] الزبيدي محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: نواف الجراح، مر: سمير شمس، دار الأبحاث للترجمة ولنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ج10، ص 205.

[2] سورة هود: الآية 19.

[3] سورة الاسراء: الآية 19.

[4] سورة النساء: الآية 78.

[5] ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1993، ج10، ص305.

الفقه اصطلاحا:

أما الاصطلاح فقد غلب استعمال الفقه على العلم بمسائل الدين واختص بذلك حتى بات عند الاطلاق لا يتناول غيره.

قال الزبيدي: فقهت أي فطنت وفهمت وقد غلب على علم الدين لشرفه وسيادته على سائل أنواع العلم كما غلب النجم على الثُّريا والعود على المندل.[1]

وقد ورد في الأحاديث الشريفة استعمال الفقه بهذا المعنى في عدة مواضع[2] منها قوله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيرا يفقه في الدين".[3]

وقد مر الفقه بأطوار عدة: فاستخدم في صدر الاسلام مرادفا للشرع أي هو فهم كل ما شرع الله لعباده من الأحكام واستمر هذا الاستعمال حتى القرن الثاني هجري، حيث عرف الامام أبو حنيفة الفقه بأنه: معرفة النفس مالها وما عليها.[4]

---

[1] الزبيدي، المصدر السابق، ج10 ، ص205.

[2] لخضر محمد بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، ط1، بيروت، 2009، ص81.

[3] الترميذي، أبو عبد الله محمد الحكيم، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، دط، دار صادر، بيروت، دت، ص365-366.

[4] إلياس دردور، تاريخ الفقه الإسلامي، دار ابن الحزم، ط1، بيروت، 2010، ج1، ص15.

وقد تطور مفهوم الفقه ليجعل أخص في الدلالة وليقتصر به على "علم الفروع" دونما سواه عن علوم الشريعة الأخرى.[1]

لذا فقد عرفه ابن خلدون بأنه: معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والاباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه.[2]

وفي معجم المصلحات الفقهية برد تعريف الفقه بأنه علم بالمسائل الشرعية العملية، والمسائل الفقهية إما تتعلق بأمر الآخرة وهي العبادات وإما تتعلق بأمر الدنيا وهي تنقسم إلى مناكحات ومعاملات وعقوبات.[3]

ثانيا: أشهر المذهب الفقهية:

كان أول اختلاف وقع بين المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم اختلافا اجتماعيا سياسيا محضا، وليس اختلاف على عقائد الدين أو ايمانيته النظرية؛ وكان ذلك الاختلاف حول القيادة أو الامامة، أي حول من يجب أن يتولى رئاسة الدولة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.[4]

---

[1] لمرجع نفسه، ص16.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص563.

[3] جرجس جرجس، معجم المصطلحات الفقهية والقانونية، الشركة العالمية للكتاب، ط1، د م ن، 1996، ص256.

[4] سعد رستم، الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البدايات، دار الأوائل، دط، دمشق، 2004، ص12.

ولم يكن هذا الخلاف أول خلاف بين المسلمين فحسب بل كان اعظم خلاف ادت نتائجه الى دخول المسلمين في الجدل وجردوا السيف ليكون الحكم الفيصل فيما يدعون إليه من أفكار سياسية.[1] إذ بقول الشهرستاني وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سل سيف في الاسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الامامة في كل زمان.[2]

هذا الاختلاف سرعان ما تطور مما قسم الأمة المسلمة إلى تيارات فكرية ومذاهب فقهية اقتضتها ظروف الجماعة المسلمة وتجاربها الصحيحة والخاطئة.[3]

هكذا ظهرت الأفكار والمذاهب الكلامية المختلفة التي تذكر كتب الفرق أسماء عديدة لها والتي لن نتعرض لها جميعها بل نقتصر على شرح الفرق الرئيسية التي كان لها شأن كبير في العصر العباسي الأول وبقيت مستمرة ومتطورة نعني:

---

[1] نزار محمد قادر، نهلة شهاب أحمد، دراسات في تاريخ الفكر السياسي الاسلامي، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 2000، ص7.

[2] الشهرستاني، أبو الفتح تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، تح: سيدكلاني، دار المعرفة، دط، بيروت، 1975، ص24.

[3] سعد رستم، المرجع السابق، ص19.

1- أهل السنة والجماعة:

يقصد بالسنة لغة: الطريقة المسلوكة والمتبعة[1] ومنه قوله تعالى ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.[2]

أما المقصود من مصطلح السنة في هذا المجال ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.[3]

وسنة الرسول هي المصدر الثاني للتشريع الاسلامي بعد القرآن الكريم والعمل بها واجب محتم على كل مسلم، وقد دلّ على ذلك القرآن الكريم في عدة مواضع؛ فقد أمر الله سبحانه بطاعة الرسول وجعل طاعة الرسول طاعة له، فقال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾.[4]

---

[1] محمد شريف عدنان الصواف، بين السنة والشيعة: المسائل الفقية التي خالف فيها الشيعة الامامية أهل السنة والجماعة، دار الحكمة، ط1، دمشق، 2006، ص292.

[2] سورة الفتح: الآية 23.

[3] محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، الفكر السامي، مطبعة النهضة، دط، تونس، دت، ج1، ص29.

[4] سورة النساء: الآية 80.

ويمثل تيار أهل السنة والجماعة التيار العام أو السواد الأعظم الذين والوا جميع أولي الأمر بداية بالخلفاء الأربعة دون فرق،[1] ثم قبلوا بحكم بني أمية ثم بني العباس، بغض النظر عن سياسة هذه الدول لدرء الفتن وتوحيد الأمة.[2]

وقد ظهر بينهم القراء والفقهاء والمحدثون من كبار التابعين علاوة على تلاميذ سائر علماء الصحابة الذي انتشروا في مكة والمدينة والكوفة والشام والبصرة ومصر، إلى أن وصل العهد إلى كبار أئمة الفقه والحديث سواء كانوا من أصحاب الرأي أو أصحاب الحديث.

وسيتم التعرض لهم بالتفصيل في المبحث الثالث من هذا الفصل.

2- المعتزلة:

يعزى سبب تسميتهم بالمعتزلة أنهم كانوا محايدين أو أنهم لم ينصروا أحد الفريقين المتنازعين (أهل السنة والخوارج) على الآخر في المسألة السياسية الدينية الخطيرة،[3]

[1] ابن تيمية، أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، تح: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط1، بيروت، 1986، ج2، ص221.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص221.

[3] صبري خدمتلي، العقيدة والفرق الاسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، دت، ص75.

مسألة الفاسق: ما حكمه: هل هو كافر مخلد في النار كما يقول الخوارج أو هو مؤمن يعاقب على الكبيرة بقدرها أو هو في منزلة بين المنزلين وهو ما سيقول به المعتزلة.[1]

وذكر الشهرستاني أن اعتزالهم كان بسبب إيمانهم بأربعة قواعد، الأولى: نفي الصفات والثانية القول بالقدر والثالثة القول بالمنزلة بين المنزلتين، والرابعة قوله في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين إن احداهما مخطئ لا يعينه.[2]

ويورد الشهرستاني قصة طويلة في هذا المجال ويذكر أن بسبب ايمانهم بهذه القواعد اعتزلوا حلقة الحسن البصري[3] فسميوا معتزلة.[4]

والمعتزلة عشرون فرقة تذكرها مصادر الفرق المختلفة لعل أبرزها الواصلية نسبة إلى واصل بن عطاء الغزال[5] الذي يعد مؤسس المذهب الاعتزالي.[6]

---

[1] عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين، دار العلم للملايين، دط، بيروت، 1997، ص37.

[2] الشهرستاني، المصدر السابق، ص38.

[3] الحسن البصري: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري، من سادات التابعين وكبرائهم، جمع كل فن وعلم وعبادة وورع، أبوه مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه وأمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها، امام أهل البصرة، توفي سنة 101(هـ/719م).

[4] سعد رستم، المرجع السابق، ص91.

[5] واصل بن عطاء: أبو حذيفة المخزومي، مولاهم البصري، كان هو وعمر بن عبيد رأسي المعتزلة في البصرة، وكانا قد اعتزلا حلقة الحسن البصري لما قالا بأن الفاسق لا مؤمن ولا كافر، توفي (131هـ/848م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: حسن الأسد، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1996، ج5، ص464.

[6] محمد ابراهيم الفيومي: الفرق الاسلامية وحق الأمة السياسي، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1998، ص427.

وقد صنف شيوخ المعتزلة كتبا ومقالات عديدة في مختلف معارف عصرهم فواصل بن عطاء صنف أحد عشر ألف كتاب فقدت جميعا وحرقت أثناء محنتهم زمن المتوكل من قبل أهل السنة.[1]

أما فيما يخص علاقة فقهاء المعتزلة بالخلفاء العباسيين في الفترة موضوع البحث فقد بلغت أوج قوتها خاصة في عهد الخليفة المأمون الذي اعتنق مذهبهم وقرب إليه شيوخهم وأعلن الاعتزال مذهبا رسميا للدولة فعظم شأن المعتزلة في عهده وازدادت جموعهم ازديادا كبيرا.

وقد استمر ذلك زمن المعتصم والواثق وانتهى سعد قوتهم برفع المتوكل لسياسة المحنة وإلقول بخلق القرآن.[2]

[1] محمود اسماعيل، الحركات السرية في الاسلام، مؤسسة الانتشار العربي، ط5، بيروت، 1997، ص92.

[2] المرجع نفسه، ص133.

3- الزيدية:

نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب[1] إذ يذكر الأشعري في مقالاته أنهم سميوا زيدية لتمسكهم به.[2]

وقد تتلمذ زيد هذا على يد واصل بن عطاء أحد أئمة المعتزلة ثم خرج على الدولة الأموية في أيام هشام بن عبد الملك[3] الذي عرف بالتجبر والفسق بعد أن بايعه أكثر من خمسة عشر ألف من شيعة الكوفة.[4]

أما أهم ما تميزت به الزيدية أنهم ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة الحسن والحسين ولم يجيزوا الإمامة في غيرهم بشرط أن يكون عالما شجاعا سخيا يخرج بالإمامة وعندئذ تجب له الطاعة.[5]

---

[1] زيد: هو زيد بن علي زين العابدين بن الحسن بن أبي طالب، جده الأعلى علي بن أبي طالب وجده من قبل أمه محمد رسول الله ولد سنة (80هـ/699م)، قتل سنة 122هـ، وهو لا يتجاوز اثنان وأربعين سنة، ينظر: محمد أبو زهرة، الإمام زيد، حياته وعصره آراءه وفقهه، دار الفكر العربي، دط، الاسكندرية، 1959م، ص22.

[2] الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الاسلامين واختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة العربية، ط1، القاهرة، 1950، ج1، ص129.

[3] هشام بن عبد الملك بن مروان، بويع له سنة (105هـ/723م) توفي وهو في سن ثلاث وخمسين سنة سنة (125هـ/724م) كانت ولايته تسع عشر سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوما، ينظر: المسعودي، المصدر السابق: ج3، ص169.

[4] الطبري، المصدر السابق، ص1370.

[5] عبد المنعم الحنفي، موسوة الفرق والجماعات الإسلامية، دار الرشاد، ط1، القاهرة، 1993، ص226.

وقد ذكر الأشعري أن الزيدية ست فرق منها الجارودية والسليمانية والبترية والنعيمية،[1] أما الشهرستاني فقد ذكر ثلاث فرق.[2]

وقد اشتهر من رجال المذهب الزيدي محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن الحسن بن علي وأحمد بن عيسى بن زيد بن علي وأبو الحسن بن عيسى بن زيد بن علي.[3]

4- الجعفرية:

ينسب إلى الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[4] الذي وصف بورعه وتقواه وابتعاده عن السياسية والسلطة وتوجهه نحو العلم، لقب بالصادق لصدقه في مقالته.[5]

---

[1] الأشعري، المصدر السابق، ج1، ص130.

[2] الشهرستاني، المصدر السابق، ص126.

[3] زينب خلف علي حراحشة، موقف فقهاء العراق من السلطة العباسية، رسالة ماجستر، جامعة آل البيت، كلية الآداب والعلوم، الأردن، 2003، ص62.

[4] جعفر بن محمد بن علي بن الحسين: يكنى أبا عبد الله أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، كان مشغولا بالعبادة عن حب الرياسة ولد سنة (80هـ/699م)، توفي بالمدينة سنة (148هـ/765م) ينظر : ابن الجوزي، جمال الدين ابي الفرج، صفة الصفوة، تح: محمود فاخوري، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، بيروت، 1985م، ج3، ص168-174.

[5] ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص327.

وقد أقام الامام جعفر بالمدينة يفيد الشيعة المنتمين إليه بفقهه وعلمه ثم ذهب إلى العراق وأقام بها مدة مهتما بالعلوم ولم يهتم بالخلافة.[1]

وتروي كتب التراجم والطبقات أن الامام جعفر كان يتمتع بمكانة مميزة عند أهل الحديث مثل سفيان الثوري[2] ومالك بن أنس.[3]

وتذكر الروايات التاريخية أن المنصور كان يجل الصادق ويستشيره ويأمر ولاته على المدينة بإستشارته في الأمور ويعد جعفر الصادق العقل المفكر للمذهب الجعفري الامامي حيث بلور وأوضح أسسه والذي يعد التوحيد والنبوة والإمامة من أهم عقائده واستن في جنوحه للمسالمة منهجا سار عليه أغلب أئمة الشيعة الامامية من بعده ولذلك فإن العلاقة بين الخلفاء العباسيين الأوائل وبين الأئمة من آل الحسين ظلت عدا حالات استثنائية تتسم بالود والمرونة إذا ما قورنت بعلاقة العباسيين بآل الحسن أو الزيدية.[4]

---

[1] بن شهر آشوب،ابي جعفر بن علي، مناقب آل أبي طالب، تح: يوسف البقاعي: دار الأضواء، ط2، لبنان، 1991، ج4، ص265.

[2] سفيان الثوري: هو سفيان بن سعد بن مسروق ويكنى أبا عبد الله ولد سنة (97هـ/715م) وتوفي سنة (161هـ/777م) وهو ابن أربع وأربعين سنة بالبصرة وهو مختفي من السلطان، ينظر: ابن قتيبة،ابي محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط4، القاهرة، دت، ص497.

[3] مالك بن أنس: مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر،امام دار الهجرة ومؤلف الموطأ، توفي في صفر سنة (170هـ/768م) في خلافة هارون وكان يوم مات ابن خمس وثمانين سنة، ينظر: ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري،كتاب الطبقات الكبير، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، دط، القاهرة، دت، ج7، ص575.

[4] صالح الورداني، الشيعة من الامام علي إلى الخميني، مكتبة مدبولي الصغير، دط، القاهرة، 1993، ص14.

المبحث الثاني: مكانة الفقيه والعلم الديني في الدولة العباسية:

يعد الفقهاء جزءا مهما من المجتمع العباسي إذ تمتعوا بمكانة مرموقة ساهمت عدة عوامل في بلوغهم إياها وهي المكانة التي أكسبت الفقهاء قوة ومكنتهم من التأثير على المجتمع بشكل عام وسياسيا بشكل خاص.

وبما أن الدولة العباسية قامت على أثر دعوة سياسية دينية مدة من الزمن رفع الدعاة العباسيين فيها شعارات دينية مستندين إلى أنهم جاءوا للعمل وفق السنة النبوية وبذلك جعلوا الدين أحد الأركان الأساسية في تأسيس حكمهم.[1]

ويرى ابن خلدون أن أهمية العامل الديني تكمن في أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة وأعزى السبب إلى صعوبة انقيادهم واجتماعهم.[2]

[1] أحمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص29.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص179.

وقد عمل الخلفاء العباسيون على تعزيز مشروعية حكمهم بإبراز نسبهم الهاشمي وبأنهم أولاد عم الرسول صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب،[1] ليضفوا على حكمهم نوعا من القدسية الشرعية.[2]

سار العباسيون الأوائل على هذا النهج منذ الدعوة وطوال العصر العباسي الأول إذ أكدوا على السياسة الدينية للدولة العباسية وأعلنوا في أكثر من مناسبة عن عزمهم اتباع كتاب الله وسنة نبيه ونددوا بأهل الجور أي الأمويين الذين فشلوا في تطبيق مبادئ العدالة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.[3]

ويمكن أن نتبين ذلك من خلال الشعارات التي رفعتها الدعوة العباسية من أجل استقطاب أهل الدين والورع من المسلمين، فاشترك الناس معهم ضد الأمويين على أساس إحياء السنة وإرجاع العدل.[4]

---

[1] العباس: هو العباس بن عبد المطلب كان يكنى بالفضل ولد قبل قدوم أصحاب الفيل بثلاث سنين، من أوائل المسلمين، كان يَهَابُ قومه ويكره خلافهم لذا كتم إسلامه، وكان ذا مال، توفي في خلافة عثمان رضي الله، ينظر: ابن سعد: المصدر السابق: ج4، ص5-30.

[2] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، العلماء والسلطة: دراسة عن دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول، دط، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2009، ص72.

[3] فاروق عمر، الثورة العباسية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1988، ص39.

[4] عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص35.

ذكر ابن الأثير ان أبا مسلم الخراساني أحسن إلى أحد أسراه وهو يزيد مولى نصر بن سيار،[1] فعالجه حتى اندملت جراحه، وقال له: ان شئت أن تقيم عندنا فقد أرشدك الله وإن كرهت فإرجع إلى مولاك سالما وأعطنا عهد الله أنك لا تحاربنا ولا تكذب علينا، وقال أبو مسلم: إن هذا سيرد عنكم أهل الورع والصلاح فما نحن عندهم على الاسلام، وهو دليل على رغبة أبي مسلم في استمالة الفقهاء وأهل الرأي إليهم.[2]

ولما عاد يزيد إلى مولاه نصر بن سيار قال له: انهم والله يصلون الصلاة لمواقيتها بآذان وإقامة ويتلون القرآن ويذكرون الله كثيرا ويدعون إلى ولاية محمد رسول الله وما أحسب أمرهم إلا سيعلو ولولا أنك مولاي لا رجعت ولأقمت معهم.[3]

وكان المنصور قبل توليته يتردد على مجالس العلم والمساجد، وروى الجاحظ أنه كان مقدما في علم الكلام، ومكثرا من كتاب الآثار.[4]

وكان يجالس الفقهاء ويصاحبهم[5] وهو ما جعله قريبا منهم بعد توليه الخلافة.

---

[1] نصر بن سيار: هو نصر بن سيار بن رافع، من كنانة، ولاه هشام بن عبد الملك خراسان فلم يزل واليا عليها عشر سنين حتى وقعت الفتنة فخرج إلى العراق فمات في الطريق ناحية ساوة، ينظر: ابن قتيبة، المعارف،المصدر السابق، ص409.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص30.

[3] المصدر نفسه، ج5، ص31.

[4] الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1960، ج3، ص363.

[5] ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص462.

ومع ما بذله الدعاة العباسيون من جهود في هذا الاتجاه إلا أنهم قد ابتعدوا عن هذا النهج، وأظهروا تباينا بين الشعارات إلى رفعتها الدعوة وبين أعمالهم على أرض الواقع.

وعلى سبيل المثال لا الحصر أُستشير أحد الدعاة من أبي مسلم فقال له اجعل سوطك السيف وسجنك القبر،[1] وهو ما يدل على الشدة والغلظة وأخذ أرواح الناس التي أوجب الدين حقنها.

وبعد تأسيس الدولة العباسية استمر خلفاء بني العباس في إصرارهم على حقهم في الخلافة وتأكيدهم على المظاهر الاسلامية في دولتهم.

وهو ما يظهر جليا في خطبة داود بن علي[2] يوم بيعة السفاح،[3] إذ قام على المنبر محمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس انه والله ما علا منبركم هدا خليفة بعد علي بن أبي طالب غير ابن أخي هذا.[4]

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص45.

[2] داود بن علي: هو داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم يكنى بأبي سليمان كان بالحميمة مع ابراهيم الإمام، ولي إمرة الكوفة ثم مكة والمدينة واليمن واليمامة والموسم في خلافة السفاح وهو عم الخليفة أبو العباس، واحد أركان دولة بني العباس، ينظر: عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع نفسه، ص73.

[3] أبو العباس: يقال له السفاح، بويع سنة (132هـ/750م) ولي الخلافة وهو ابن أربع وعشرين سنة، كانت ولايته أربع سنين وثمانية أشهر، توفي بالأنبار في ذي الحجة (136هـ/753م) ينظر: ابن قتيبة،المعارف، المصدر السابق، ص272-373.

[4] خليفة بن خياط، ابي عمرو بابن أبي هبيرة، تاريخ خليفة بن خياط، تح: اكرام ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، 1985، ص409.

إذا فقد أكد العباسيون على شرعية حكمهم وأحقيتهم بالسلطة دون غيرهم، فاعتبروا انفسهم ورثة النبوة وان ما تحقق لهم من نصر على بني أمية إنما هو نصر من الله.

كما ظنوا أن هذا الأمر باقٍ فيهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها فقد أشار داود بن علي في خطبته قائلا: واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى سلمه عيسى بن مريم.[1]

بل ذهب العباسيون أبعد من ذلك عندما استندوا في شرعيتهم إلى مفهوم نظرية الحق الإلهي المقدس، ولم يكن هذا ادعاء بل أصبح نظاما متبعا ترتكز عليه سياسية الدولة، وظهر هذا جليا على لسان خلفاء بني العباس في خطبهم،[2] ففي الخطبة التي ألقاها أبو جعفر المنصور أكد على ذلك قائلا: أيها الناس أنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وأنا خازنة على فيئه أعمل بمشيئته وأقسِم بإرادته وأعطي بإذنه.[3]

وهو ما أكده أبو العباس بقوله: ورد الله علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا وتولى أمرنا والقيام بنصرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض وختم بنا كما افتتح بنا.[4]

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ص1474.

[2] أحمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص34.

[3] ابن عبد ربه،أحمد بن محمد الاندلسي،العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983م، ج4، ص186.

[4] الطبري، المصدر السابق، ص1473.

قال المسعودي فخطب على المنبر قائما وكانت بنو أمية تخطب قعودا، فضج الناس، وقالوا أحييت السنة يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.[1]

ومن خلال خطبة أبي العباس نلاحظ تأكيده على حق القرابة بقوله: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2]، وقال: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾[3]، وقال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾[4]، وقد جاء بهذه الآيات ليبين حق العباسيين في خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم.[5]

وقد تقرب العباسيون للفقهاء ورجال الحديث لكسب تأييدهم لهم[6] ومنهم الامام أبو حنيفة.[7]

---

[1] المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص210.

[2] سورة الأحزاب: الآية 33.

[3] سورة الشورى: الآية 23.

[4] سورة الأنفال: الآية 41.

[5] ينظر: الملحق رقم (01)، ص121.

[6] فاروق عمر، المرجع السابق، ص39.

[7] أبو حنيفة: أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي فقيه الملة وعالم العراق، يقال أنه من أبناء الفرس ولد سنة (80هـ/699م) تلميذ حماد بن سليمان، عني بطلب الآثار وارتحل في ذلك، توفي سنة (150هـ/767م) وله سبعون سنة دفن ببغداد، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج6، ص390-403.

ولتحقيق هذا الهدف قام الخلفاء بإرسال الرسائل إلى الفقهاء البارزين ممن كان لهم تأثير كبير في الناس يطلبون نصائحهم وارشاداتهم، يذكر ابن خلكان أن عمرو بن عبيد[1] دخل يوما على المنصور في خلافته، وكان صاحبه وصديقه، فقال له عظني فوعظه بمواعظ منها: إن هذا الأمر الذي أصبح في يدك لو بقي في يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل إليك، فأحذرك ليلة تمخض بيوم لا ليلة بعده.[2]

كما أجزوا العطايا لهم[3] وقلدوهم مختلف الوظائف خاصة القضاء،[4] وقد أوصى المنصور ابنه المهدي[5] قبل وفاته بمجالسة العلماء قائلا: لا تجلس مجلسا إلا ومعك من أهل العلم من يحدثك.[6]

---

[1] عمرو بن عبيد: أبو عثمان عمرو وبن عبيد، المتكلم، الزاهد المنشور وصاحب الخليفة أبو جعفر المنصور، له رسائل وخطب وكتاب التفسير عن الحسن البصري، وكتاب الرد على القدرية وغير ذلك، كانت ولادته سنة (80هـ/699م) وتوفي سنة (144هـ/761م)، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص460-462.

[2] المصدر نفسه، ج3، ص461.

[3] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج13، 352.

[4] أحمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص91.

[5] المهدي: أبو عبد الله، ولد سنة (127هـ/744م) تولى الخلافة اثر وفاة المنصور سنة (158هـ/774م) توفي سنة (169هـ/785م)، ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص391.

[6] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص222.

ومن منطلق العمل بكتاب الله وسنة رسوله، ولتقريب الفقهاء وقف العباسيون في وجه الحركات المبتدعة التي سعت لضرب الإسلام، فحاربوا البدع والفتن، وقمعوا تيارات الزندقة والشعوبية[1].[2]

فقد أوصى المنصور ابنه المهدي بمحاربتهم وتتبعهم حتى قتل منهم جماعة كبيرة، وتتبع أمرهم بعده ابنه الهادي[3].[4]

وكانت السلطة العباسية أحيانا إذا أرادت أن تشوه أحد معارضيها ألصقت به تهمة الزندقة والتخلي عن القيم الإسلامية مثل العكوف على الملذات والملاهي، بذلك تشوه صورته لدى العامة.

ويمكننا أن نتبين المكانة التي حظي بها الفقهاء في العصر العباسي بكثرة الناس المجتمعين في حلقاتهم العلمية، وكثرة الناس في جنائزهم.[5]

---

[1] الشعوبية: فرقة تعصبت تعصبا أعمى ضد العرب وأرادوا الكيد لهم ووجدوا أن خير سبيل إلى ذلك هو الكيد ضد الإسلام، ينظر: محمد ابراهيم الفيومي، المرجع السابق، ص296.

[2] الفضل الشلق، الجماعة والدولة، جدليات السلطة والامة في المجال العربي الاسلامي، مجلة الاجتهاد، العدد 3، لبنان، 1989، ص49.

[3] الهادي: موسى بن محمد الهادي، بويع له سنة (169هـ/785م) وهو ابن اربع وعشرين سنة، كان يكنى أبا جعفر، أمه الخيزران بنت عطاء وهي أم الرشيد توفي سنة (170هـ/786م) وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر، ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص269.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص168.

[5] الفضل شلق: المرجع السابق، ص53.

فيذكر الفضل شلق في هذا الصدد أن الامام أحمد بن حنبل[1] صلى عليه مئات الألوف من الناس[2] وهو ما لا يحدث إلا لشخصيات مؤثرة وفاعلة في المجتمع.

ويبدو أن الخلفاء والفقهاء قد دخلوا في علاقات تجاذب وتطويق أملتها عليهم قناعة كل طرف بإستحالة إلتزام حياد كل واحد منهم اتجاه الآخر، فالحاكم أو الخليفة يعرف جيدا أهمية الفقيه من مجتمع يعد فيه الدين الأساس المرجعي الذي يستند إليه في اضفاء الشرعية على الفعل السياسي.[3]

يتضح من كل ما سبق أن الفقهاء كانت لهم حظوة لدى الخلفاء العباسيين والعامة على حد سواء، فالخلفاء تقربوا منهم لخدمة مصالحهم السياسية كدعم شرعية حكمهم أو الاستفادة من نصائحهم أو حتى تقليدهم وظائف لخدمتهم والنهوض بدولتهم.

---

[1] أحمد بن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال: شيخ أهل السنة، ولد سنة (169هـ/785م) بغداد، ابتدأ رحلاته سنة (166هـ/782م) ليتلقى الحديث عن الرجال، فرحل إلى البصرة، الحجاز، اليمن الكوفة، وتوالت رحلاته، إلتقى الإمام الشافعي وأخذ عنه وأتم علمه إلى ان صار إمام، توفي سنة (218هـ/833م)، ينظر: محمد أبو زهرة، الإمام أحمد بن حنبل: حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، دت، ص15-37.

[2] الفضل الشلق، المرجع السابق، ص35.

[3] وائل حلاق، نشأة الفقه السياسي وتطوره، تر: رياض الميلادي، مر: فهد بن عبد الرحمن الحمودي، المدار الاسلامي، ط1، د م ن، 2007، ص106.

المبحث الثالث: أهل السنة والجماعة:

يعرفهم البغدادي بأنهم أصحاب الدين القويم والصراط المستقيم، ثبتهم الله تعالى بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.[1]

ورأى البغدادي أن الرسول الكريم قصدهم لما ذكر افتراق أمته بعده ثلاثا وسبعين فرقة وأخبر أن فرقة واحدة هي الناجية، فلما سئل عنها وعن صفتها، أشار إلى الذين هم ما عليه هو وأصحابه ولم يجد البغدادي من فرق الأمة من هم على موافقة الصحابة رضي الله عنهم غير أهل السنة والجماعة من فقهاء الأمة.[2]

إذا يمكننا القول بأن تيار أهل السنة والجماعة تحدد منذ البداية من خلال موقف الولاء للخلفاء الأربعة دون فرق ثم الخضوع السياسي للحكم الأموي والاعتراف بالدولة الأموية.[3]

وقد دخل التشريع الإسلامي مرحلة جديدة إذ ذكرنا أن الخلفاء العباسيين قد أضفوا على أنفسهم الصبغة الدينية، ولبسوا بردة النبي لتذكير الناس بصلتهم به، ومحاولة صبغ

---

[1] عبد القادر البغدادي، المصدر السابق، ج2، ص319.

[2] المصدر النفسه، ج2، ص319.

[3] حسين عطوان، الفقهاء والخلفاء في العصر الأموي، دار الجيل، ط8، بيروت، 1991، ص10.

كل أعمال الدولة بصبغة دينه. وقد ساعد ذلك على تطور الفقه والتشريع من خلال التوسع في الإجتهاد واختلاف وجهات النظر بين الفقهاء وكثرة المناظرات بينهم.[1]

فكان لذلك أثر كبير في التشريع وأدى إلى نضوج المذاهب الاسلامية المختلفة، وظهر رجال القمم الفقهية كالإمام مالك بن أنس وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة النعمان والامام الشافعي.[2]

وقد اشتهر أهل الحجاز بالتمسك بالحديث والسنة لأن المدينة هي موطن السنة وفيها كثير من الأعراف والعادات التي لم يطلها التغيير والتبديل، أما فقهاء العراق فقد أخذوا بالرأي واشتهروا به.[3]

---

[1] رحيم كاظم محمد الهاشمي، عواطف محمد العربي شنقارو، الحضارة العربية الاسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، دط، دن، القاهرة، دت، ص215.

[2] الشافعي: هو محمد بن ادريس بن العباس ولد سنة (150هـ/767م)، اختلف في مكان ميلاده، طلب الشافعي العلم بمكة على يد من كان فيها من الفقهاء والمحدثين، فبلغ شأنا عظيما، ذهب إلى الامام مالك ولزمه وتفقه عليه حتى مات سنة (189هـ/804م)، ومع ملازمته لمالك فقد قام ببعض الرحلات، عندئذ بدأت شخصية الشافعي تظهر بفقه جديد، توفي بمصر سنة (204هـ/819م) وقد بلغ من العمر أربعة وخمسين عاما، ينظر: محمد أبو زهرة، الامام الشافعي، حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، دت، ص14-27.

[3] الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص217.

أولا: مدرسة الرأي:

طُبع علم الكوفة بطابع خاص، حيث تميز الكوفيين بإستعمال العقل في مجال الفقه فسميوا أصحاب الرأي.[1]

يقول الشهرستاني في ذلك: وإنما سميوا أصحاب الرأي لأنهم أكثروا عنايتهم بتحصيل وجه القياس والمعنى المستنبط من الأحكام وبناء الحوادث عليها.[2]

تمتد جذور هذه المدرسة إلى امامها الأول عبد الله بن مسعود[3] الذي أقام هناك وعلم أصحابه، وكان ابن مسعود هذا يتحرج في الرواية عن رسول الله خشية أن يقع في الكذب عليه، ولا يتحرج في الإجتهاد برأيه وإن صحّ الحديث عنده في الموضوع الذي اجتهد فيه رجع للحديث.[4]

[1] ينظر: الملحق رقم (02)، ص122.

[2] الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص220.

[3] عبد الله بن مسعود: هو عبد الله بن مسعود بن عاقل بن حبيب، الامام الحبر فقيه الأمة، كان من السابقين الأولين ومن النجباء العالمين، شهد بدرا وهاجر الهجرتين، توفي سنة (32هـ/653م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، ص461-462.

[4] محمد أبو زهرة، الأمام أبو حنيفة، حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، دت، ص109-110.

ومن أشهر تلاميذه علقمة بن قيس النخعي[1] والأسود بن يزيد النخعي[2] ومسروق بن الأجدع الهمذاني[3] وشريح القاضي[4] وحماد بن أبي سليمان[5] الذي تتلمذ على يد ابراهيم النخعي[6]، ثم أبو حنيفة النعمان الذي لزم حماد بن أبي سليمان وتخرج عليه في الفقه واستمر معه حتى مات[7] والذي نتج عن فقهه فيما بعد مذهب عرف بالمذهب الحنفي.

---

[1] علقمة بن قيس النخعي: يكنى ابا شبل، وهو عم الأسود بن يزيد أسند عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعائشة، توفي بالكوفة سنة (61هـ/681م) وله تسعون سنة، ينظر: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج3، ص27-28.

[2] الأسود بن يزيد النخعي: يكنى أبا عمرو، كان يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، حج ثمانين مرة، أسند عن أبي بكر وعلي وابن مسعود ومعاذ وسلمان وعائشة، توفي بالكوفة في سنة (75هـ/694م)، ينظر: ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج3، ص23-24.

[3] مسروق بن الأجدع الهمداني: سُرِق وهو صغير ثم وجد قسمين مسروقا أسند عن عمر وعلي وابن مسعود وعائشة وغيرهم، توفي بالكوفة في سنة (63هـ/683م)، ينظر: ابن الجوزي، المصدر نفسه، ج3، ص24-26.

[4] شريح القاضي: أبو أمية شريح بن الحارث، من كبار التابعين، أدرك الجاهلية، استقضاه عمر على الكوفة، فأقام قاضيا خمسا وسبعين سنة، توفي (87هـ/706م) وهو ابن مائة سنة، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص460-463.

[5] حماد بن أبي سليمان: يكنى أبا اسماعيل، اسم أبيه مسلم، وكان ممن أرسل به معاوية إلى أبي موسى الأشعري، كان حماد مرجئا توفي سنة (120هـ/ 738م)، ينظر: ابن قتيبة، المعارف،المصدر السابق، ص474.

[6] ابراهيم النخعي: ابراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمر ويكنى أبا عمران وكان أعور، روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، توفي سنة (96هـ/715م) وهو ابن تسع وأربعين عنه في خلافة الوليد بن عبد الملك بالكوفة، ينظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج8، ص388-402.

[7] محمد أبو زهرة، الإمام أبو حنيفة، المرجع السابق، ص109.

كان أهل الرأي يكثرون من الافتاء بآرائهم ما دام لم يصح لديهم حديث في الموضوع الذي يجتهدون فيه، ولا يكتفون في دراستهم بإستخراج أحكام المسائل الواقعة بل يفترضون مسائل غير واقعة ويضعون لها أحكاما[1].

يذكر الشهرستاني في الملل والنحل أن الامام أبا حنيفة النعمان قال: علمنا هذا رأي، وهو أحسن ما قُدِّرنا عليه، فمن قَدَرَ على غير ذلك فله ما رأى ولنا ما رأينا.[2]

ويذكر ابن نديم جملة من أشهر رجال أصحاب الرأي: ربيعة بن أبي عبد الرحمن[3] وأبو هذيل زفر بن الهذيل بن قيس[4] وابن أبي ليلى[5] وأبي يوسف بن يعقوب القاضي[6].[7]

---

[1] المرجع نفسه، ص110.

[2] الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص220.

[3] ربيعة بن أبي عبد الرحمن: المعروف بربيعة الرأي، فقيه أهل المدينة، أخذ عنه مالك بن أنس، كانت وفاته في سنة (130هـ/748م) بالهاشمية، ينظر: ابن خلكان المصدر السابق، ج2، ص288-290.

[4] زفر: أبو الهذيل زفربن الهذيل بن قيس ولد سنة (110هـ/728م) تفقه على أبي حنيفة النعمان وأخذ عنه الرأي، وله عدة كتب، توفي سنة (158هـ/775م)، ينظر: الذهبي سير أعلام النبلاء، ج8، ص38-41.

[5] أبو ليلى: بلال بن بليل بن أحيحة، يكنى بأبي عبد الرحمن، له دار في الكوفة، من أهل العلم والفقه، ينظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج8، ص176.

[6] أبو يوسف بن يعقوب القاضي: هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد كان صاحب حديث فلما لازم أبا حنيفة غلب عليه الرأي ولي قضاء بغداد، وبقي قاضيا لها حتى وفاته سنة (182هـ/798م) في خلافة هارون الرشيد، ينظر: ابن قتيبة، المصدر السابق، ص499.

[7] ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق: الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدامى والمحدثين وأسماء كتبهم، تح: رضا تجدد، دن، دط، دت، ج6، ص256-257.

ثانيا: مدرسة الحديث:[1]

أكثر أهل الحديث بالحجاز، فهو موطن الصحابة الأول ومكان الوحي فالتابعين الذين أقاموا به وتخرجوا على صحابة لم يكثروا من الرأي.[2]

يذكر الشهرستاني بأنهم سميوا أصحاب الحديث لأن عنايتهم كانت بتحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون إلى القياس الجلي أو الخفي ما وجدوا خبرا أو أثرا.[3]

وقد تميز أصحاب هذا الاتجاه بالوقوف على نصوص الكتاب والسنة فإن لم يجدوا إلتمسوا آثار الصحابة، وقد رأى مالك بن أنس أن آراء الصحابة يجب الأخذ بها بل آراء بعض الكبار التابعين ويجب أن قدم على الرأي.[4]

لذا فقد اتجه المحدثون إلى تمحيص الرواية الصادقة واستخراجها من بين الدخيل ليتميز الخبيث من الطيب وجعلوهم في الصدق مراتب.[5]

---

[1] ينظر: الملحق رقم (03)، ص123.

[2] محمد أبو زهرة: الامام أبو حنيفة، حياته وعصره آراؤه وفقهه، المرجع السابق، ص109.

[3] الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص217.

[4] أبو زهرة: الإمام الشافعي، المرجع السابق، ص72.

[5] محمد ابو زهرة: الامام أبو حنيفة، المرجع السابق، ص111.

ويمكن أن نتبين أهمية الحديث والأثر بالنسبة لأصحاب هذا الاتجاه في قول الشافعي: إذ وجدتم لي مذهبا ووجدتم خبرا على خلاف مذهبي فأعلموا أن مذهبي ذلك الخبر.[1]

وقد اشتهر من أعلام هذه المدرسة الإمام مالك بن أنس والليث بن سعد[2] وابن شهاب الزهري[3] ومحمد بن ادريس الشافعي، سفيان الثوري، أحمد بن حنبل وداود بن علي بن خلف الأصفهاني[4].[5]

[1] الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص218.

[2] الليث بن سعد: أبو الحارث الليل بن سعد بن عبد الرحمن، إمام أهل مصر في الفقه والحديث، ولد سنة (94هـ/713م) وتوفي سنة (175هـ/791م)، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص127.

[3] ابن شهاب الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله، يكنى أبا بكر ولي القضاء في عهد سليمان بن الملك، حج مع هشام مع وله يعلمهم ويفقهم ويحدثهم ويحج معهم ولم يفارقهم حتى مات بالمدينة، توفي سنة (124هـ/742م) وهو ابن ست وستين عام.

[4] داود بن علي بن خلف الأصفهاني: أول من استخدم قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنة، والفن ما سوى ذلك من الرأي والقياس، توفي (270هـ/884م)، ينظر: ابن نديم، المصدر السابق، ج6، ص271.

[5] الشهرستاني، المصدر السابق، ج1، ص217.

ومهما تكن الأسباب التي جعلت العراقيين يكثرون من الرأي والحجازين يأخذون بالحديث، فيجب أن نشير هنا إلى أن أهل الرأي والحديث يتفقون في أن الأخذ يجب أن يكون بالكتاب والسنة والصحيحة.

ويفتقرون بعد ذلك في أن أهل الحديث يتهيبون الرأي ولا يتهيبون الرواية عن الرسول ولا يأخذون بالرأي إلا مضطرين إذا لم يعرفوا حديثا، أما أهل الرأي فيتهيبون التحدث ولا يتهيبون الافتاء متحملين تبعاته ويرجعون عنه إذا صَحّ عندهم بعد الافتاء حديث.[1]

[1] محمد أبو زهرة: الإمام الشافعي، المرجع السابق، ص64.

الفصل الثاني:

الفقهاء ومعارضة السلطة العباسية.

- المبحث الأول: المعارضة بالخروج.
- المبحث الثاني: المعارضة السلمية.
- المبحث الثالث: الإمتناع عن وظائف الدولة.
- المبحث الرابع: رفض جوائز السلطان.

الفصل الثاني: الفقهاء ومعارضة السلطة العباسية.

لم تأت أساليب معارضة الفقهاء للسلطة العباسية على نسق واحد ففي الوقت الذي نجأ فيه فريق منهم للخروج على الخليفة ومساندة حركات معارضة له، آثر فريق آخر الحياد وعدم التدخل أو حتى رفض هذه الثورات واعتبارها فتنة قد تعصف بوحدة الأمة.

والشيء الأكيد أن الفقهاء قد تحيزوا ضد مؤسسة الخلافة أو لها لعدة عوامل أهمها عامل المعتقد، وكيفية رؤية كل منهم لشخص الخليفة.

فقد أجمع فقهاء الأمة على وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وعلى تحريم طاعتهم في المعصية لقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ"[1].

فهناك أحاديث كثيرة توجب طاعة السلطان والصبر على ظلمه ما دام لم يكفر ولم يمنع الصلاة والدعاء، فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طاعة أمراء يسألون حقهم ويمنعون الناس حقوقهم فأجاب: "إسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُملوا وعليكم ما حُمِّلتم"[2].

---

[1] سورة النساء: الآية 59.

[2] النووي، يحي محي الدين بن شرف، صحيح مسلم، المطبعة المصرية، ط1، مصر، 1930، ج12، ص236.

كل هذا لم يمنع فئة من الفقهاء من الخروج والانضمام لحركات مناهضة للسلطة العباسية والخليفة العباسي، فكان منهم من أفتى بالخروج في الوقت الذي قعد في بيته ولم يخرج، ومنهم من انضم لها واعتزلها أغلبهم بوصفها فتنة تراق فيها دماء المسلمين وتستباح فيها أموالهم وتشق فيها عصا الاسلام.

وهو لا يعني رضا هؤلاء عن السلطان وعن سلطته بل اعتبروا ذلك شرا لابد منه، فقرروا مقاطعته ومعارضته بأساليب عدة خارج نطاق السيف، يمكن أن نلتمس اتجاه هؤلاء من مواقف أو حوادث بدرت منهم والتي رأينا حصرها فيما يلي:

المبحث الأول: المعارضة بالخروج:

يمكن أن نلتمس تبني تيار من الفقهاء مبدأ الخروج ومعارضته السلطة العباسية من خلال ثورة محمد ذو النفس الزكية[1]، وأخيه ابراهيم سنة (145هـ/762م).[2]

فقد ترتب عليها جملة من ردود الفعل للعلماء ذات أهمية بالنسبة لموضوعنا فقد تنوعت مواقفهم بين الحياد والانحياز لجانب الخلافة أو بالعكس لجانب العلويين.

فقد ساند بعض الفقهاء هذه الثورة بالإفتاء والتشجيع والحث على المشاركة، وكان أشهرهم على الاطلاق الإمام أبو حنيفة النعمان الذي بدا واضحا من الروايات أنه مال إلى ثورة الأخوين وساندهم وحث الناس على المشاركة والخروج معهما لقتال أبو جعفر المنصور.[3]

---

[1] محمد ذو النفس الزكية: محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بويع له كثير من الأمصار، وكان يدعى النفس الزكية لزهده ونسكه وكان مستخفيا من المنصور ولم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن وعموميته وكثير من أهله، قتل سنة (145هـ/762م)، ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص372.

[2] البلاذري،احمد بن يحي بن جابر،أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1996، ج3، ص315.

[3] أحمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص60.

فقد جاء في كتاب الانتقاء أن أبا حنيفة كان يجهر بالكلام أيام ابراهيم بن عبد الله جهارا شديدا.[1]

ويحث الناس ويحضهم على مساندة الثورة فأفتى بأن الخروج مع محمد وأخوه ضد المنصور أفضل من الحج خمسين أو سبعين مرة.[2]

بل وقال لأحد أصحابه وهو أبو اسحاق الفزاري[3] والذي كان ينوي الخروج للثغور لقتال الكفار بأن مخرج أخيه في ثورة محمد أفضل من مخرجه.[4]

وهو بهذا أعطى أولويته لقتال المنصور والدولة العباسية على قتال الكفار.

وذهب أبعد من ذلك إذ اعتبر ثورة محمد بمنزلة بدر وسماها بدر الصغرى،[5] وهو ما يترجم موقفه من السلطان الظالم أو الفاسق حتى أن الامام أبو حنيفة أقنع الحسن بن

---

[1] ابن عبد البر، أبي عمر يوسف الأندلسي، الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء مالك بن أنس الأصبحي المدني ومحمد بن إدريس الشافعي المطلبي وأبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وعيون أخبارهم والشاهدة بإمامتهم وفضلهم في آدابهم وعلومهم، اعتنى به:عبد الفتاح بوغدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 1997، ص323.

[2] الأصفهاني، أبي فرج، مقاتل الطالبين، تح: السيد أحمد صقر، ط2، النجف، 1353هـ، ص244.

[3] أبو إسحاق الفزاري: إبراهيم بن محمد بن الحارث، الامام الكبير والحافظ المجاهد، كان من أئمة الحديث، توفي (186هـ/784م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج8، ص539-541.

[4] أحمد إسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص60.

[5] المرجع نفسه، ص60.

قحطبة بعدم الخروج لقتال ابراهيم والتكفير عن ذنوبه بقتل المسلمين، وهو ما فعله القائد العسكري الذي أبى تنفيذ أوامر المنصور واعتذر عن القيام بهذه المهمة.[1]

وتشير نفس الرواية أن المنصور استفسر عن من أثّر في موقف قائده فقالوا: أبا حنيفة، ومع هذا لم ترد الرواية أنه استدعاه أو أذاه أو أنه حمل إليه.[2]

ولكن المنصور لم ينس له ذلك ولم يزل في نفس أبي جعفر منه حتى جلده وأنزل به العقاب.[3]

والجدير بالذكر أن أبا حنيفة لم ينفرد برأيه في ثورة النفس الزكية خصوصا وأن الامام مالك بأنس التهج نفس النهج والذي تجلى في الفتوى الشهيرة في بطلان طلاق المكره وحلف المكره وبيعة المكره.

وقد روي أن مالكا أفتى الناس بمبايعته فقيل له أن في اعناقنا بيعة للمنصور، فقال: إنما بويعتم مكرهين وليس على المكه بيعة فبايعه الناس – أي محمد بن عبد الله – عندئذ ولزم مالك بيته.[4]

---

[1] محمد أبو زهرة، الامام أبو حنيفة، حياته وعصره آراؤه وفقهه، المرجع السابق، ص35.

[2] المرجع نفسه، ص37.

[3] ابن عبد البر، الانتقاء، المصدر السابق، ص326.

[4] محمد أبو زهرة، مالك، حياته وعصره آراؤه وفقهه، مكتبة الأنجلوالمصرية، دط، القاهرة، 1966، ص58.

وتشير الروايات أن هذه الفتوى هي سبب محنة الامام إذ أمر به جعفر بن سليمان[1] فضرب سبعين سوطا وخلع كتفه الشريف.[2]

وقد ذهب بعض المؤرخين لتفنيد هذه الرواية خصوصا وأن علاقة الامام مالك بأبي جعفر المنصور قبل وبعد خروج محمد ذو النفس الزكية لا تدل على أنه قد أفتى بالخروج عليه.[3]

وذهب المؤرخين أبعد من ذلك إذ أن مالكا لم يكن يرى في الخروج على الحكام وإن كانوا ظالمين إلا ما يسوق إلى الفتن وإباحة الدماء فيكون القاعد خير من القائم والقائم خير من السائر.[4]

واستدل هؤلاء بأن مروجي الفتن اتخذوا من الحديث حجة لبطلان بيعة أبي جعفر المنصور وأنّ هذا ذاع وشاع في وقت خروج سمسد ذو النفس الزكية بالمدينة.[5]

---

[1] جعفر بن سليمان: أبو علي عبد الله بن عباس، الأمير ابن عم المنصور ولي المدينة ثم مكة معها ثم عزل فولي البصرة للرشيد، توفي سنة (174هـ/818م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج8، ص239-240.

[2] التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، المحن، تح: يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2006، ج4، ص268.

[3] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص292.

[4] محمد أبو زهرة، مالك، حياته وعصره آراؤه وفقهه، المرجع السابق، ص48.

[5] المرجع نفسه، ص58.

ويؤكد هذا الاتجاه الذهبي عند تطرق لمواقف العلماء من ثورة محمد فقال: ولزم مالك بيته[1] دون أن يشير بأنه أفتى بجواز الخروج على المنصور.

وقد جاء في الإمامة والسياسة أن المنصور لما بلغه نبأ ضرب مالك بن أنس وما أنزل به الوالي جعفر بن سليمان أعظم ذلك وأنكره وكتب بعزل جعفر عن المدينة[2]، والمنصور ما كان يعتذر لو أن مالكا عمل على تهديم أركان دولته وحمل الناس على الخروج عليه وأفتى الناس بخلع طاعته.

ومن العلماء الذين أفتوا بالخروج مع محمد ذو النفس الزكية إبن هرمز[3] الذي كان يرى بأنه– أي محمد – أحق بالإمامة من المنصور.[4]

---

[1] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج6، ص215.

[2] ابن قتيبة الدينوري، الإمامة والسياسة، تح: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1990، ج2، ص200–201.

[3] ابن هرمز: فقيه المدينة أبو بكر بن يزيد بن هرمز، جالس مالك كثيرا وأخذ عنه ثلاث عشر سنة، مات سنة (148هـ/793م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج6، ص379–380.

[4] الأصفهاني، المصدر السابق، ص193–194.

وبعد قيام الثورة سنة (145هـ-762م) نجد أن قسما من علماء المدينة من أهل الحديث وقفوا إلى جانب الثائر ومن بينهم ممن ذكر الذهبي في سيره إذ قال: وخرج معه من العلماء محمد بن عجلان[1] وعبد الحميد بن جعفر[2].[3]

وقد أفتى عمران بن داور بن القطان[4] بالخروج مع ابراهيم ابن عبد الله وأنكر عليه جماعة من العلماء ذلك.[5]

وقد خرج مع محمد من علماء المدينة كذلك كل من عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم[6] وأبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة.[7]

---

[1] محمد بن عجلان: الامام القدوة، وك في خلافة عبد الملك بن مروان، كان فقيها، مفتيا، عابدا، صدوقا، له حلقة كبيرة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرج مع محمد ذو النفس الزكية، فلما قتل، همّ جعفر بن سليمان والي المدينة بمعاقبته، لكنه ارتدع، توفي سنة (148م/784م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج6، ص317-322.

[2] عبد الحميد بن جعفر: هو عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله الأنصار من محدثي المدينة توفي سنة (153هـ/770م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج7، ص201.

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج6، ص215.

[4] عمران بن داور بن القطان: عمران بن داور العمّي، أبو العوام القطان البصري روى عن الحسن البصري وأبي إسحاق الشيباني وغيرهم، أفتى أيام إبراهيم فتوى شديدة، ينظر: المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف،تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1996، ج22، ص329-330.

[5] المصدر نفسه، ج22، ص330.

[6] عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم: الامام المجود الحافظ أبو عثمان ولد بعد السبعين أو نحوها، من صغار التابعين، مات سنة (147هـ/764م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج6، ص304-307.

[7] أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة: كان مفتيا للمدينة المنورة ثم رحل إلى بغداد فولاه المنصور القضاء، توفي سنة (162هـ/778م)، ينظر: ابن قتيبة، المعارف، المصدر السابق: ص489.

ولم يفت أهل البصرة وفقهاؤها مساندة إبراهيم إذ شارك معه جماعة كبيرة من أهل الفقه والعلم ولم يبقى إلا عدد قليل لم يشارك منهم: عبد الله بن عون.[1]

وبعد انتهاء الثورة ومقتل محمد وأخيه ابراهيم عفا المنصور عن الفقهاء الذين شاركوا فعليا في الحركة أو ناصروها، بل وحاول كسبهم إلى جانبه وبناء علاقات جديدة معهم بمختلف الطرق.[2]

فقد استدعى المنصور نفرا من كبار علماء المدينة بعد شكه في ولاءهم للدولة العباسية وهم الإمام مالك والفقيه ابن ذئب[3] والفقيه ابن سمعان[4].[5]

---

[1] عبد الله بن عون: عبد الله بن عون **بن ارطبان المزني** من علماء الحديث، توفي سنة (151هـ/768م)، ينظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص261.

[2] أحمد إسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص62.

[3] ابن ذئب: أبو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، اسمه هشام، صاحب الإمام مالك، كانت بينهما مودة وألفة، ولد سنة (81هـ/700م) وتوفي سنة (159هـ/776م) بالكوفة، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص183.

[4] ابن سمعان: عبد الله بن زياد بن سليمان بن سمعان المخزومي، محدث ليس بثقة، ولي قضاء المدينة، وتوفي بها في أول خلافة المهدي، ينظر: العسقلاني،احمد بن علي بن حجر شهاب الدين، تهذيب التهذيب، اعتنى به إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، دط، د م ن، دت، ج2، ص336-338.

[5] أحمد إسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص62.

وقال لهم معاتبا: أما بعد معشر الفقهاء فقد بلغ أمير المؤمنين عنكم ما أخشن صدره وضاق به ذرعه وكنتم أحق الناس بالكف عن ألسنتكم والأخذ بما يشبهكم وأولى الناس بلزوم الطاعة والمناصحة بالسر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم.[1]

فأجابه الإمام مالك دفاعا عن نفسه قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ".[2][3]

ويبدو أن المنصور أراد معرفة نواياهم تجاهه واتجاه سلطة دولته.

فزاد قائلا: على ذلك فأي الرجال أنا عندكم؟ أمِنْ أئمة العدل أو أئمة الجور؟ فأبي مالك وطلب منه اعفاءه من الإجابة، وأجاب ابن سمعان بأنه خير الرجال يحج بيت الله ويجاهد العدو، ويؤمن السبل والضعيف فهو أعدل الأئمة وخير الرجال، فيما قال له ابن ذئب، أنت شر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وأهلكت الضعيف فما حجتك غدا بين يدي الله.[4]

---

[1] ابن قتيبة الدينوري، الامامة والسياسة، المصدر السابق، ج2، ص196.

[2] سورة الحجرات: الآية 6.

[3] ابن قتيبة الدينوري، الامامة والسياسة، المصدر السابق، ج2، ص196.

[4] الأصفهاني، المصدر السابق، ص331.

المبحث الثاني: المعارضة السلمية:

وهي معارضة جاءت وسطا بين الخروج المسلح والقبول بواقع السلطة العباسية فلم تحمل السيف أو تفتي بجواز الخروج على السلطة ولا تعاطت معها بشكل طبيعي.

إذ أكد الفقهاء على وجوب الطاعة للأئمة وتجنب الفتنة، وأدانوا فكرة الخروج والثورة وتوسعوا في رواية آثار في إلتزام الجماعة وتجنب الفتنة وسفك الدماء وفي ضرورة إلتزام البيعة.[1]

ويعد فقهاء الحديث من أكبر الفقهاء انتصارا لهذا المبدأ بسبب تأثرهم بمجموعة من الروايات والتي أكدت على اجتناب الفتن كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كره من أميره شيئا فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج عن السلطان شبرا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية.[2]

كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام يجب اعتزال كل الفرق.[3]

---

[1] خير الدين يوجه سوي، تطور الفكر السياسي عند أهل السنة والجماعة، فترة تكوينية من البداية حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1993، ص116.

[2] النووي، المصدر السابق، ج2، ص240.

[3] المصدر نفسه، ج12، ص237.

والذي يجسد هذا الاتجاه هو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن أنكر فقد بر ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع فأبعده الله، قيل يا رسول الله: أفلا نقاتلهم، قال: لا ما صَلّوا.[1]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه، فمن وجد منها ملجأ أو معاذا فليعذ به.[2]

لذا فقد آثر فقهاء السنة اجتناب الفتن والمعارضة المسلحة ورأوا النهي عن اقتتال المسلمين والصبر على ظلم السلطان وذهب آخرون لدعم سلطة الخليفة اجتنابا للفُرقة ودرءًا للأمة من الشقاق.

ولعل أصلح رواية يمكن سردها في هذا السياق هي أن بعض فقهاء بغداد كادوا يسببون أزمة للخلافة في عهد الخليفة الواثق (227هـ-232هـ/841م-846م) واجتمعوا إلى الإمام أحمد بن حنبل وكان آنذاك قد امتحن إذ سجن وتم إيذاءه من قبل الخلافة منذ

---

[1] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، تح: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، دط، د م ن، دت، ج1، ص635.

[2] العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين، فتح الباري، تح: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط1، القاهرة، 1987، ج13، ص33.

عهد الخليفة المأمون[1] لرفضه القول بخلق القرآن[2]، وشاوروه في خلع بيعة الواثق[3] فرفض الإمام ذلك على الرغم من اختلافه مع الخلافة ومنهجها وأصحابها وقال لهم: عليكم بالنكرة في قلوبكم ولا تخلعوا يدا من الطاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماء المسلمين.[4]

فهذه النصوص جميعها تدل على النهي عن القتال في الفتنة ولا شك أن الخروج على الأئمة يؤدي إلى الفتنة فدّل ذلك على النهي عن الخروج على الأئمة الظلمة، والمراد بالفتنة هنا، وهو ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك حيث لا يعلم المحق من المبطل.[5]

---

[1] المأمون: عبد الله بن هارون المأمون، أمه مراجل، تولى الخلافة بعد أخيه الأمين سنة (198هـ/812م) وهو ابن ثمان وعشرين سنة، توفي سنة (218هـ/833م) وهو ابن تسع وأربعين سنة، ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ج4، ص5.

[2] الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص560.

[3] الواثق: هارون بن محمد بن هارون، الواثق بالله ويكنى أبا جعفر، أمه قراطيس، بويع في اليوم الذي توفي فيه المعتصم سنة (227هـ/841م) وهو ابن احدى وثلاثين سنة، توفي سامراء وهو ابن سبع وثلاثين سنة وكانت خلافته خمس سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوما، وكان ذلك سنة (232هـ/846م)، ينظر: المسعودي، المصدر نفسه، ج4، ص54.

[4] أحمد إسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص45.

[5] الدميجي، عبد الله بن عمر بن سليمان، الامامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، دن، الرياض، دت، ص510.

وقال الفضيل بن عياض[1]: لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها في الإمام لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد.[2]

وقال ابن المبارك[3]:

الله يدفع بالسلطان معضلة عن ديننا رحمة منه ورضوانا

لولا الأئمة لم تُؤمن لنا سبل وكان أضعفنا نهب لأقوانا.[4]

لذلك فقد رأى العلماء أهمية صلاح الخليفة لصلاح الرعية وبينوا ذلك للخلفاء ليدرك الخلفاء أهمية الأدوار التي يقومون بها فقال سفيان الثوري للمنصور: إني لأعلم رجلا إذا صلح صلحت الأمة وعندما سأله المنصور من، قال: أنت.[5]

---

[1] الفضيل بن عياض: أبو علي فضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، استمع الحديث بالكوفة، انتقل إلى مكة وجاورها إلى أن مات بها في (187هـ/802م)، ينظر: ابن خلكان المصدر السابق، ج4، ص47-48.

[2] ابن خلكان المصدر نفسه، ج4، ص48.

[3] عبد الله بن المبارك: ابن واضح، الامام لشيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته، ولد سنة (118هـ/736م)، طلب العلم وهو ابن العشرين سنة، ارتحل إلى الشام ومصر والحرمين والعراق والجزيرة وخراسان، توفي سنة (181هـ/797م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج8، ص378-418.

[4] المصدر نفسه، ج8، ص414.

[5] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص134.

وبما أن هؤلاء الفقهاء أنكروا الخروج على السلطان فإنهم أنكروا كل من يرى الخروج عليه ويرفضون قبول أحاديثه وإضعافها من أمثال عمران القطان إذ أضعف جمهرة من العلماء أحاديثه لإفتائه بالخروج أيام ابراهيم بن عبد الله بن الحسن.[1]

ومع رفض هؤلاء الفقهاء لمبدأ الخروج والثورة وإراقة الدماء ومعرفة أهمية السلطة السياسية في الإسلام فإن هناك كثير من المواقف التي بدرت منهم تبرز معارضتهم لسلطة بني العباس وإنكارهم إتيان خلفاءهم والوقوف على أبوابهم.

وقد حفلت المصادر التاريخية والفقهية بالكثير من المواقف والروايات الدالة على كره بعض الفقهاء الاتصال بالخلفاء العباسيين واتيانهم واغلاظ القول لهم.

ولعل أشدهم كرها ورفضا لخلفاء بني العباس هو سفيان الثوري إذ يروى عنه أقوال وأفعال تنم عن حدة شديدة ورفض صارم حتى أنه كان يرى النظر إلى وجه السلطان خطيئة وأن معاملة اليهود والنصارى أحب إليه من معاملة الأمراء وروى المسعودي أن الثوري كان يسلم على المهدي تسليم العامة.[2]

[1] المزي، المصدر السابق، ج22، ص330.

[2] المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص266-267.

وقد دخل يوما على المنصور فقال له: اتق الله فإنما انزلت هذه المنزلة وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار وابناءهم يموتون جوعا.[1]

ونصح المنصور بترك الأمر لأهله فقال له إلزم بيتك واترك الأمر إلى من يقدر أن يوصل كل ذي حق حقه.[2]

وقد دخل سفيان هذا على المهدي ورأى ما هيأهُ للحج فقال له حج عمر بن الخطاب فأنفق في حجته ستة عشر دينارا وأنت حججت فأنفقت في حجتك بيوت الأموال، فقال له المهدي، فأي شيء تريد؟ تريد أن أكون مثلك؟ قال: فوق ما أنا فيه ودون ما أنت فيه.[3]

وقد انتهى أمر سفيان الثوري للهرب من عيون المهدي ينتقل من دار إلى دار حتى وفاته.[4]

---

[1] ابن أبي الحاتم، عبد الرحمن الرازي، الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، دت، ج2، ص106.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص111.

[3] ابن خلكان المصدر السابق، ج2، ص387.

[4] ابن قتيبة الدينوري، الامامة والسياسة، المصدر السابق، ج2، ص143-144.

ولم يكن هؤلاء الفقهاء يرون في قرب الخلفاء شيئا فقد جاء في الحلية أن هارون الرشيد[1] قال لأبي اسحاق الفزاري: أيها الشيخ إنك في موضع من القرب فقال له إن ذلك لا يغني عني يوم القيامة من الله شيئا.[2]

وقال الأوزاعي[3] مرة للمنصور: إنك حملت أمانة هذه الأمة وقد عرضت على السموات والأرض فأبينا أن يحملنها وأشفقن منها. فأعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعك مع المخالفة لأمره فقد قال رسول الله صلى الله عليكم وسلم: "يا صفية عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد استوهبا أنفسكما من الله فإني لا أغني عنكما من الله شيئا.[4]

---

[1] هارون الرشيد: بويع لهارون بن المهدي سنة (170هـ/786م) وهو ابن إحدى وعشرين سنة، ومات بطوس سنة (193هـ/808م)، فكانت ولايته ثلاثا وعشرين سنة وستة أشهر، ينظر: المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص279.

[2] أحمد الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، بيروت، 1996، ج8، ص253.

[3] الأوزاعي: أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، امام أهل الشام، لم يكن بالشام أعلم منه، كان يسكن بيروت، ولد ببعلبك سنة (88هـ/706م) توفي سنة (157هـ/773م)، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص361.

[4] ابن عبد ربه، المصدر السابق، ج3، ص106.

وقد سُئِل الأوزاعي قبل ذلك عن دماء بني أمية، من قبل عبد الله بن علي[1] فقال: لا تحل لك وأقام عليه الحجة حتى طرده من عنده[2] وهو دليل على أن الرجل لا يخاف في الله لومة لائم.

ومن ناحية أخرى تعرض بعض الفقهاء إلى السواد وهو شعار العباسيين ورمز دعوتهم بالنقد وعَدُّوا لبس السواد سببا لتضعيف حديث من يلبسه فقد ذكر الذهبي في سيره أن الفقيه ابن كريب[3] رحل إلى دمشق ليستمع لأحد الفقهاء فوجد عليه سواد القضاء فلم يسمع منه، وقد كان القضاة في العصر العباسي يلبسون السواد لأنه شعار الدولة العباسية.[4]

---

[1] عبد الله بن علي: عبد الله بن علي بن عبد الله العباس بن عبد المطلب، عم أبي العباس وأبي جعفر المنصور، ولاه أبو العباس مذزلة مروان فنازله في الزاب حتى هزمه، ثم تبعه إلى الشام وأرسل على أثره إلى مصر حتى قتله، خرج على المنصور وأعلن نفسه خليفة بالشام، بناء على وعد أعطاه إياه أبو العباس إذا قتل مروان، لكن المنصور أمكن منه واستصفى أمواله وحبسه في بيت من اللبن فانهار عليه فمات سنة (147هـ/764م)، ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج10، ص8-9.

[2] ابن أبي حاتم، المصدر السابق، ج2، ص213.

[3] ابن كريب: هو محمد بن العلاء بن كريب، الحافظ الثقة الامام شيخ المحدثين، أبو كريب الهمداني الكوفي، ولد سنة (161هـ/777م) وتوفي سنة (284هـ/897م)، وقد عاش أربع وثمانين سنة، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج11، ص394-396.

[4] المصدر نفسه، ج11، ص396.

المبحث الثالث: الإمتناع عن وظائف الدولة:

امتنع فريق من فقهاء السنة عن العمل في وظائف الدولة العباسية وعارضوا الدخول في خدمة السلطان، بل وحذروا حتى من مجرد الاتصال به، قال حذيفة[1]: إياكم ومواقف الفتن: قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله، قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول له ما ليس فيه.[2]

وقد تعددت أسباب رفض الفقهاء لقبول العمل لدى الخلفاء حتى أنهم حرّموا ذلك واعتبروا أن الفقهاء الذين تقلدوا وظائف لدى الدولة العباسية كفارا أو بائعين لدينهم.

فقد جاء في الجامع أنه لما ولي اسماعيل بن علية[3] العشور أو الصدقات كتب إليه عبد الله بن المبارك يَستَمِدُهُ برجال من القراء يعينونه على ذلك فكتب إليه ابن المبارك:

يا جاعل العلم له بازيـــا يصـــطاد أموال المساكين

احتلت للدنيا ولذاتهـــا بحيلـــة تذهـب بالـديـــن

فصرت مجنوناً بها بعدما كنـــت دواء المـجانيـــن

---

[1] حذيفة: هو حذيفة بن قتادة المرعشي، صنجب الثوري، كان مشغولا بالرعاية عن الرواية، توفي سنة (207هـ/822م)، ينظر: ابن الجوزي، المصدر السابق، ج4، ص268-270.

[2] ابن عبد البر: الجامع، المصدر السابق، ص639.

[3] إسماعيل بن علية: منسوب إلى أمه، وكان من خيار الناس أورده ابن قتيبة في المعارف على أنه من أصحاب الحديث، وأبوه إبراهيم، ولي المظالم ببغداد وتوفي سنة (193هـ/808م)، ينظر: ابن قتيبة: المصدر السابق، ص507.

أين رواياتك فيما مضـــى عن ابن عون وابن سيرين

ودرستك العلـــــم بآثاره في تركك أبواب السلاطين

تقول أكرهت فما حـــيلتي زلّ حمار العلم في الطين[1]

لذا فقد رأوا بأن عملهم في هذه الوظائف مساعدة ومساندة للسلطان على ظلمه وجوره وإذهابا لعلمهم وورعهم وتقواهم وبيعا لدينهم بدنياهم.

وقد حمل الخلفاء العباسيون القضاة على السير وفق رغباتهم ليكسبوا أعمالهم صبغة شرعية، لذا فقد امتنع كثير من الفقهاء عن تولي القضاء خشية أن يحملهم الخليفة على الإفتاء بما يخالف الشريعة الإسلامية.[2]

إذ تشير الروايات التاريخية أن الخلفاء العباسيون استعانوا بفتاوي القضاة لينقضوا عهودا أعطوها لمعارضيهم، كما فعل السفاح مع ابن هبيرة والمنصور مع أبي مسلم وعمه عبد الله بن علي، وهارون مع يحي بن عبد الله.[3]

[1] ابن عبد البر، الجامع، المصدر السابق، ص637.

[2] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص239.

[3] المرجع نفسه، ج2، ص58.

ولما التمسوا امتناع هؤلاء عن القضاء بسبب تحكمهم فيه وفي أحكامه ارتأوا في بعض الأحيان التخلي عن ذلك لترغيب بعضهم فيذكر ابن خلكان في وفياته أن المهدي أمر بكتابة عهد سفيان الثوري على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم.[1]

وقد رأى الخلفاء الاعتماد على هؤلاء الفقهاء لصرامتهم وحرصهم على إقامة الحق، فقد قال المنصور حين عرض على شريك بن عبد الله النخعي[2] القضاء: قد بلغني عنك صرامة فازدد. فقال له شريك: فأعتمد عليك، قال: نعم.[3]

وقد ورد في الحديث النبوي الشريف أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين[4] وفي هذا الحديث الشريف إشارة واضحة وجلية إلى عظم المسؤولية التي تقع على عاتق الذي يتولى هذا المنصب.[5]

لذلك نرى الإمام أبا حنيفة النعمان يمتنع حين عرض عليه المنصور تولى القضاء والمظالم، وتورد الروايات الكثير عن امتناع أبي حنيفة واصرار أبي جعفر حتى أنه حلف

---

[1] ابن خلكان المصدر السابق، ج2، ص390.

[2] شريك بن عبد الله النخعي: أبو عبد الله ولد ببخارى سنة (95هـ/713م) وتوفي بالكوفة سنة (177هـ/793م)، ولي القضاء بالكوفة ثم الأهواز، ينظر: الشيراز إبراهيم بن علي بن يوسف ، طبقات الفقهاء، تح: احسان عباس، دار الرائد العربي، دط، بيروت، ص86.

[3] وكيع محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، مر: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، دط، د م ن، دت، ج2، ص586.

[4] أبي عبد الرحمن شرف الحق العظيم أبادي محمد أشرف بن أمير بن حيدر الصديقي، عون المعبود على شرح سنن أبي داود، مر: محمد ناصر الدين الألباني، دار ابن الحزم ط1، بيروت، 2005، ص1620.

[5] أحمد إسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص107.

عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل فقيل له: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف: فقال: أمير المؤمنين أقدر مني على كفارة أيمانه.[1]

ويقال أن أبا حنيفة قال له اتق الله ولا ترعى أمانتك إلا من يخاف الله والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأمون الغضب؟ ولو اتجه الحكم عليك ثم تهددني أن تغرقني في الفرات أو تلي الحكم لأخترت أن أغرق.[2]

فأمر به إلى الحبس في الوقت ويقال أنه استعمل في عد اللبن في بناء بغداد تكفيرا عن ايمان المنصور[3]: أما في الانتقاء فذهب ابن عبد البر إلى أن المنصور أمر بحبسه في السجن فمات فيه.[4]

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن الامام أبا حنيفة النعمان قد ضُرب قبل هذا عشرة أيام في كل يوم عشرة أسواط من قبل ابن هبيرة[5] على أن يلي القضاء فلم يفعل.[6]

---

[1] ابن عبد البر، الانتقاء، المصدر السابق، ص325.

[2] ابن خلكان المصدر السابق، ج5، ص407.

[3] المصدر نفسه: ج5، ص406.

[4] ابن عبد البر، الانتقاء، المصدر السابق، ص325.

[5] ابن هبيرة: أبو خالد يزيد بن عمر بن هبيرة، نائب مروان بن محمد، وصفه الذهبي فقال: كان بطلا، شجاعا، جوادا، فصيحا، ولد سنة (87هـ/705م) وعاش خمسا وأربعين سنة، هزمته الخرسانية فدخل إلى واسط فحاصره المنصور مدة وآمنه، ثم نكث فدخلوا عليه داره وقتلوه وكان ذلك في (132هـ/749م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج6، ص207-208.

[6] ابن عبد البر، الانتقاء، المصدر السابق، ص324.

وقد لقي سفيان الثوري شريكا بعدما ولي القضاء بالكوفة فقال له يا أبا عبد الله بعد الإسلام والتفقه والخير تلي القضاء؟ فقال له شريك: لابد للناس من قاض فقال له: يا أبا عبد الله لابد للناس من شرطي.[1]

وذهب سفيان أبعد من ذلك إذ طلب منه التوبة عن ذلك أو أنه لا يكمله، وقد بقي على هذا الموقف حتى مات.[2]

وذكر الجبوري أن قسما من الفقهاء قد اختفوا عن أنظار السلطة في سبيل أن لا يلو القضاء وهربوا إلى مناطق أخرى مثل الامام سفيان الثوري الذي أراد المهدي أن يوليه قضاء الكوفة كما ذكرنا فأخذ العهد فرماه في دجلة وهرب وبحثوا عنه في كل بلد فلم يجدوه.[3]

وجاء في الإمامة والسياسة أن الرشيد أراد رجلا يوليه قاضي القضاة في العراق، فرفعت إليه تسمية عشرة رجال من خيار الناس وعلماءهم وأشرافهم فأمرهم فأدخلوا عليه رجلا رجلا، ليتفرس فيهم من يوليه القضاء، فلما اختار رجلين منهما إحتالا عليه للتخلص

[1] ابن خلكان المصدر السابق، ج2، ص387.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص266.

[3] أحمد إسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص108.

وأضاف البغدادي أن حفصا هذا قال: لأن يُدخل الرجل اصبعه في عينه فيقلعها فيرمي بها، خير له من أن يكون قاضيا.[1]

وروي أن الشافعي رفض تولي القضاء لما طلب منه المأمون ذلك.[2]

وقد كان كثير من المحدثين لا يقبلون رواية من تقرب إلى السلطان فهم يرون أن الذي توظف في الدولة أغضب الله وأرضى السلطان، ولهذا السبب عابوا أبا يوسف من أجل توليه القضاء.[3]

والأمثلة كثيرة في هذا فبشر الحافي[4] إذا جاء إلى حفص بن غياث اعتزل ناحية ولم يسمع عنه وقال: هو قاضي.[5]

---

[1] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج9، ص70.

[2] محمد أبو زهرة، الامام الشافعي، المرجع السابق، ص27.

[3] علي الوردي، وعاظ السلاطين، دار كوفان، ط2، لندن، 1995، ص240.

[4] بشر الحافي: أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن، أحد كبار الصالحين وأعيان المتقين المتورعين، أصله من مرو من قرية من قُراها يقال لها مابراسم، سكن بغداد، كان مولده سنة (150هـ/767م) وتوفي سنة (226هـ/840م)، ينظر: ابن خلكان المصدر السابق، ج1، ص274-276.

[5] يوسف المزي، المصدر السابق، ج7، ص63.

ولعل أكبر دليل يمكن الاستشهاد به في هذا السياق وعلى كره الفقهاء للعاملين عامة لدى السلطان هو الرواية التي ساقها الذهبي في سيره حيث قال: إشتهى إبن المبارك سويقا في السفر وهو يُحتضر، فلم يوجد إلا عند رجل كان يعمل للسلطان، وكان معهم في السفينة، فذكروا ذلك له، فقال: دعوه، فمات ولم يشربه.[1]

[1] - الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج8، ص411.

المبحث الرابع: رفض جوائز السلطان:

رفض فريق من فقهاء السنة أخذ هبات السلطان ونهوا غيرهم من العلماء عنها، ولاموا أولئك الذين قبلوا بها، ويمكننا القول في هذا المقام أن الفقهاء الذين عارضوا السلطة العباسية هم أنفسهم الذين رفضوا عطاياها وهباتها.

وكان من هذا الفريق سفيان الثوري، والفضيل بن عياض والإمام أبو حنيفة النعمان وعبد الله بن المبارك.

والحق أن أئمة هذا الاتجاه قد انقسموا إلى قسمين: قسم تعفف عن مال السلطان والخلافة ورفض أخذها وتشدد في الرفض كالإمام أبو حنيفة وأحمد بن حنبل وسُفيان الثوري وقسم قبل عطاء الخلفاء واستعان به في حاجات المعوزين وإعانة من يحتاج إلى معونة من أهل العلم كالإمام الشافعي.

وبداية يجدر بنا أن نتسائل عن علة رفض هذا الفريق من الفقهاء لعطايا وهبات الخلفاء والأمراء، فهل هو شك في مصادر هذه الأموال أو لإرادتهم، أم أنهم خشوا أن يحول قبولهم لها بينهم وبين قيامهم بدورهم في محاسبة هؤلاء الحكام.

ويمكن أن نلتمس الاجابات المقنعة لهذه الأسئلة في سرد بعض الروايات التي جاءت في كتب الطبقات منها ما جاء في كتاب الجرح والتعديل أن محمد بن ابراهيم والي

مكة بعث إلى سفيان الثوري بمائتي دينار فأبى أن يقبلها فقيل له: يا أبا عبد الله كأنك لا تراها حلالا فقال: بلى ولكن أكره أن أذل.[1]

ويروى أن ابن الإمام أحمد بن حنبل دخل يعوده وهو مريض فقال له: يا أبت عندنا شيء بقي مما كان يبرنا به المتوكل أفأحج به؟ قال: نعم، قال: فإذا كان عندك هكذا فلِمَ لا تأخذ؟ فقال: يا بني ليس هو عندي بحرام ولكني تنزهت عنه.[2]

إذا فأحمد وغيره من الفقهاء ما كانوا يقطعون بأن قبول العطاء من الخلفاء حرام ولكنهم اشتبهوا، وحينما اشتبهوا نزّهوا انفسهم.

وقد أدرك الفقهاء أهمية تحصيل الأموال بالعمل فحاجتهم للمال قد تكون سببا لخضوعهم للسلطان، فقد سبق وذكرنا أن الفقيه حفص بن غياث قبل تولي القضاء لحاجة ألمت به: فذكر البغدادي أن شعبة بن الحجاج[3] كان يقول لأصحاب الحديث: ويلكم إلزموا السوق، فإنما أنا عيال على إخوتي.[4]

---

[1] ابن الحاتم الرازي، المصدر السابق، ج1، ص114.

[2] محمد أبو زهرة، الامام أحمد بن حنبل، المرجع السابق، ص74.

[3] شعبة بن الحجاج: أبو سطام شعبة بن الحجاج بن الورد، واسطي الأصل بصري الدار، قدم بغداد مرتين، توفي سنة (160هـ/776م) وهو ابن خمس وسبعين سنة، ينظر: ابن خلكان المصدر السابق، ج2، ص470.

[4] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج10، ص356.

لذا نجد أن عدد من الفقهاء امتهن التجارة والحرف والصناعات فأبو حنيفة النعمان كان يعمل خزازا يبيع الخز[1] وكان هارون بن معروف[2] يشتغل مثله[3] وأبو بكر بن عياش حناطا.[4]

وقد اشتهر الفقيه ابن المبارك بمساعدته للفقهاء ومساندته لهم فكان يبعث لهم الأموال، فقد جاء في السير أنه دخل عليه أحد الفقهاء فوجد في وجهه أثر الضر فلما خرج بعث إليه أربعة آلاف درهم وكتب له:

وفتى خلا من مالـــــه ومن المروءة غير خـــــالِ

أعطاك قبل سؤالـــــه وكفاك مكروه الســـــؤال.[5]

---

[1] ابن خلكان المصدر السابق، ج5، ص405.

[2] هارون بن معروف: هو هارون بن معروف المروزي، كنيته أبو علي، المحدث الثقة نزل بغداد، توفي فيها سنة (232هـ/846م)، ينظر: يوسف المزي، المصدر السابق، ج30، ص107-109.

[3] المصدر نفسه، ج30، ص107.

[4] المصدر نفسه، ج33، ص129.

[5] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج8، ص408.

وأضاف الذهبي أن ابن المبارك أرسل إلى أبي بكر بن عياش[1] أربعة آلاف درهم وقال: سد بها فتنة القوم عنك – لعله قصد فتنة السلاطين – وقد وصفه قائلا: كان يصل العلماء ويعطيهم.[2]

ويجد المتصفح لكتب الطبقات والتراجم روايات كثيرة وعديدة تسوق مواقف لفقهاء من أهل الحديث والرأي رفضوا عطايا السلطان لسبب أو لآخر. فساق البغدادي في تاريخه أن ربيعة بن عبد الرحمن قدم على أبي العباس فأمر له بجائزة، فأبى أن يقبلها، فأعطاه خمسة آلاف درهم يشتري بها جارية، فرفض مرة أخرى.[3]

وقد كان المنصور يدني الإمام أبا حنيفة ويعليه ويعطيه العطايا الجزيلة ولكنه كان يردها في رفض وحيلة[4] فقد أمر له المنصور مرة بعشرة آلاف درهم فما رضي بها.[5]

---

[1] أبو بكر بن عياش: أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرئ، قيل إسمه محمد وقيل عبد الله وصف بأنه ثقة من أهل الصدق والأمانة، كان مولده سنة (95هـ/713م)، توفي سنة (192هـ/807م) وله ست وتسعون سنة، ينظر: يوسف المزي، المصدر السابق، ج33، ص129-135.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج8، ص409.

[3] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج9، ص420.

[4] محمد أبو زهرة، الامام أبو حنيفة، المرجع السابق، ص44.

[5] ابن عبد البر، الانتقاء، المصدر السابق، ص322.

ويروى أن المنصور حكّم الإمام مرة بينه وبين زوجه فحكم لها فبعثت له خادما ومعه مال وثياب وجارية وحمار، فردها وقال للخادم، اقرءها السلام وقل لها: إنما ناضلت عن ديني وقمت ذلك المقام لله لم أرد بذلك تقربا إلى أحد ولا التمست به دنيا.[1]

وقد وهب المهدي لشعبة بن الحجاج ثلاثين ألف درهما فقسمها وأقطعه ألف جريب بالبصرة فقدم البصرة فلم يجد شيئا يطيب له فتركها.[2]

وجاء في صفة الصفوة أن هارون الرشيد جاء الفضيل بن عياض ومعه هارون فوعظه وعظا شديدا، فقال له: هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوى بها على عبادتك فقال: سبحان الله أنا أدلك على طريق النجاة وأنت تكافئني بمثل هذا سلمك الله ووفقك، فخرج الرشيد من عنده فلما صار على الباب دخلت امرأة من نسائه فقالت يا هذا قد ترى ما نحن في ضيق الحال لو قبلت هذا المال فتفرجنا به، فقال: مثلي ومثلكم كمثل قوم كان لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون فجلس إلى جانبه فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينما هما كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت: ياهذا آذيت الشيخ فانصرف فأنصرفا.[3]

---

[1] محمد أبو زهرة، الامام أبو حنيفة، المرجع السابق، ص44.

[2] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج10، ص355.

[3] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج2، ص243.

وقد رفع له الرشيد مرة ببدرة فلم يقبلها فقال له الرشيد: يا أبا علي ان لم تستحل أخذها فأعطاها ذا دين أو اشبع بها جائعا أو إكس بها عاريا فاستعفاه منها.[1]

ويبدو أن رفض الفقهاء لعطايا السلطان لم يقتصر على الأموال فقط بل حتى على الإعانة والمساندة فقد جلس الأمين والمأمون إلى عبد الله بن إدريس فحدثهما بمائة حديث، فقال المأمون: يا عم إلى جانب مسجدك دار، إن أذنت لنا إشتريناها ووسعنا بها المسجد، فقال: مالي إلى هذا حاجة، فنظر المأمون إلى قرح في ذراع الشيخ، فقال: إن معنا مستطببين وأدوية أتأذن أن يجيئك من يعالجك، فقال: لا قد ظهر بي مثل هذا وبَرأ، فأمر له بمال فأبى أن يقبله.[2]

وكان الإمام أحمد بن حنبل يرفض عطاء الخلفاء ولو كان دفع لغيره من العلماء، فيُروى، أن المأمون دفع إلى شيخ من شيوخ الحديث في عصره مالا، ليقسمه على أصحاب الحديث لأن فيهم ضعفاء أراد أن يعينهم على ما خصّصُوا أنفسهم له، فما بقي منهم أحد إلا أخذ ما عدا الإمام أحمد بن حنبل.[3]

وقد عرض المتوكل المال الكثير والدر الوفير وألح في العرض وشددت حاشيته على الإمام أحمد فأصر على الإمتناع اصرارا شديدا ولم يقبل أن يأخذه ويتصدق به،

---

[1] ابن خلكان المصدر السابق، ج4، ص405.

[2] ابن الجوزي، المصدر السابق، ج3، ص170.

[3] محمد أبو زهرة، الامام أحمد بن حنبل، المرجع السابق، ص71.

وكان الخليفة يطلب إليه ذلك ولكن أحمد لم يرد أن يدخل المال في ملكه ساعة من الزمان، فهو في نظره المال الذي لا يقاربه أهل النزاهة لأن غيره أولى.[1]

ويروى أن وزير المتوكل كتب له: إن أمير المؤمنين قد وجه إليك جائزة ويأمرك بالخروج إليه، فالله الله أن تستعفى أو ترد المال فيتسع القول لمن يبغضك، فاضطر الإمام لأخذها ليبدد الشكوك حوله ولكنه لم يمسها وأمر ولده أن يأخذها ثم يوزعها على أبناء المهاجرين والأنصار وغيرهم من أهل الحاجة.[2]

وبعد أن اطمأن المتوكل إلى الإمام وبان له أنه يعيد عن الفتن ترك له الحرية في أن يقبل عطاءه أو يرده، فكان يرده ولو كان قد أرسله ليوزعه على أهل الحاجة والمعوزين، فيروى أنه وجه إليه ألف دينار ليوزعها على أهل الحاجة فقال له: أنا في البيت منقطع عن الناس وقد أعفاني أمير المؤمنين مما أكره وهذا ما أكره.[3]

وجاء في الانتقاء أن الشافعي خرج إلى اليمن مع بعض الولاة ثم انصرف إلى مكة بعشرة آلاف درهم، فما بَرِح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص71.

[2] المرجع نفسه، ص72.

[3] المرجع نفسه، ص73.

[4] ابن عبد البر، الانتقاء، المصدر السابق، ص151.

الفصل الثالث:

الفقهاء ومساندة السلطة العباسية.

- المبحث الأول: دعم شرعية الحكم العباسي.
- المبحث الثاني: العمل في وظائف الدولة.
- المبحث الثالث: قبول جوائز السلطان.

سفيان فَنَحَبَ ثُمَ تَبَسَمَ فقالوا: يا رسول الله رأيناك نحبت ثم تبسمت، فقال: رأيت بني أمية يتعاونون على منبري فساءني ذلك ثم رأيت بني العباس يتعاونون عليه فسرني ذلك".[1]

ومنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للعباس: فيكم النبوة وفيكم المملكة.[2]

وساق السيوطي في تاريخه أن الرسول أخبر العباس عمه أن الخلافة ستؤول إلى ولده فلم يزل ولده يتوقعوه ذلك.[3]

وقد أقبل العباس يوما على رسول صلى الله عليه وسلم فقال لأبي بكر يا أبا بكر هذا العباس قد أقبل وعليه ثياب بيض وسيلبس ولده من بعده السواد ويتملك منهم اثنا عشر رجلا يعني ملكا وينازع فيه.[4]

ولهذا تقرب العباسيون من العلماء والفقهاء السنة منهم بصفة خاصة لأنهم قادرون على تعزيز هذه الشرعية في محاولة كسب تأييدهم للنظام الجديد، فأخذت السلطة تسعى

---

[1] ابن كثير، المصدر السابق، ج14، ص274.

[2] المصدر نفسه، ج14، ص274.

[3] السيوطي، المصدر السابق، ص417.

[4] الديار البكري، حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة الشعب، دط، بيروت، دت، ج2، ص32.

أحيانا إلى أن تستشيرهم وتقربهم آملة أن يساندوا مهمة ترويج هذا الحق الشرعي بين الناس وأخذ الخلفاء يجمعون حولهم الفقهاء ويشملونهم برعايتهم.[1]

وكانت نفس الخليفة تطيب إذا ذكر أحد الفقهاء حديثا فيه اطراء للعباس وولده فيجزلون لهم العطايا عليه ويمكن أن نمثل على هذا أن الكسائي[2] حدث الخليفة المنصور حديثا لم يسمعه فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أغفر للعباس ولولد العباس ولمن أحبهم، فاستحسنه المنصور وفرح به وقال: يا أبا الحسن كل يوم تجيء لنا بفائدة فدعا بدواة وقرطاس وكتب بخطه ما سمعت حديثا أحسن من هذا وأكرمه بعشرة آلاف دينار.[3]

وكان بعض الفقهاء كذلك يرجون التقرب من الخلفاء عن طريق رواية هذه الأحاديث فقد ذكر البغدادي أن ابن جريج[4] قدم على أبي جعفر وكان عليه دين فقال: جمعت من حديث ابن عباس ما لم يجمعه أحد فلم يعطه شيء.[5]

---

[1] أحمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص32.

[2] الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله، الكوفي المعروف بالكسائي أحد القراء السبعة ، كان اماما في النحو واللغة والقراءات، كان يؤدب الأمين بن هارون ويعلمه الأدب ينظر: ابن خلكان:المصدر السابق، ج3، ص295.

[3] أحمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص33.

[4] ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز، ولد سنة (80هـ/699م) أحد العلماء المشهورين، يقال انه أول من صنف الكتب في الاسلام توفي سنة (149هـ/766م)، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص163، 164.

[5] الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج12، ص142.

وقد دافع بعض الفقهاء السنة عن السلطة العباسية وعن شرعيتها فوقفوا ضد كل من خرج على السلطة فقد كان ابن شبرمة[1] مناهضا لحركة ابراهيم بن عبد الله ويُمكن أن نتبين هذا الموقف من خلال ما كتبه لعمرو بن عبيد حينما دعاه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر يا عمرو بالمعروف ناقلة والقائمون به لله أنصـــار

والتاركـــون له عجزا لهم عَذَر واللائمون له يا عمرو أشرار

الأمر والنهي لا بالسيف تنشره على الخليقة ان القتل إضرار[2]

وقد لام زفر بن الهذيل على أبي حنيفة دعمه لثورة محمد وابراهيم فقال له: والله ما أنت بمنته أو تضع الحبال في أعناقنا[3] وهو ما يدل على رفضه الخروج على السلطة.

وفي مثل هذا السياق روى الامام الغزالي رواية في كتابه مقامات العلماء بين يدي الخلفاء نوقش من خلالها شعار العباسيين وهو السواد، إذ أراد الخليفة هارون الرشيد أن يقتنص من فم أحد كبار فقهاء عصره جملة تضفي على السواد قدسية محتملة، فسأل الأوزاعي عن لبس السواد فقال: لا أحرمه، ولكن أكرهه لأنه لا تجل فيه عروس ولا يبلي

[1] ابن شبرمة: الامام العلامة، فقيه العراق، أبو شبرمة قاضي الكوفة من المحدثين، توفي سنة (144هـ/761م)، ينظر: اليعوي، أبي يوسف بن سفيان، كتاب المعرفة والتاريخ، تح: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط1، المدينة المنورة، دت، ج2، 615.

[2] وكيع، المصدر السابق، ج1، ص546.

[3] ابن عبد البر، الانتقاء، المصدر السابق، ص323.

فيه محرم، ولا يكفن فيه ميت، فالتفت إلى أبي يوسف القاضي، فقيهه الشهير، فقال له ما تقول في السواد فقال: النور في السواد يا أمير المؤمنين، إن الانسان ينظر بسواد عينيه، ولم يكتب كتاب الله إلا به، فإهتز الرشيد فرحا وأجازه.[1]

ويمكننا أن نلاحظ من خلال الإجابة الأولى أن الإمام الأوزاعي لم يجامل السواد لعلمه أن الهدف من سؤال الرشيد هو رفع قيمة السواد بينما جاءت إجابة أبو يوسف القاضي أكثر من مجاملة.

ومن صور دعم شرعية الحكم العباسي لبس السواد شعار العباسيين الذي كان لباسا للقضاة.[2]

[1] الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء، تح: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003، ص32.

[2] الذهبي، سير اعلام البلاء، المصدر السابق، ج11، ص396.

وقد لبس السواد منهم: الحجاج بن أرطأة[1] وكان عبد الرحمان بن عبد الله المسعودي[2] يلبس قباء أسود وفي وسطه خنجر وعلى رأسه الطويلة فتوقف بعض العلماء عن الأخذ عنه لذلك.[3]

وقد ألزم الخليفة أبو جعفر المنصور رعيته بلبس القلانس الطوال المعروفة بالمدينة وكانوا يعملونها بالقصب ويلبسونها السواد.[4]

من جهة ثانية كان بعض المحدثين يضعون أحاديث نبوية لمصلحة السلطة العباسية فقد ساق ابن خلكان في وفياته أن هارون الرشيد لما قدم المدينة أعظم أن يرقى منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في قباء أسود ومنطقة فقال له أحد الفقهاء وهو أبو البُختري[5] حدثني جعفر بن محمد يعني جعفر الصادق عن أبيه قال: نزل جبريل على

---

[1] الحجاج بن أرطأة: هو الحجاج بن أرطأة النخعي الكوفي، كان من حفاظ الحديث ومن الفقهاء، استقضي وهو ابن ست عشرة سنة، ولي قضاء البصرة، كان في أصحاب أبي جعفر ثم ضمه الى ضمه الى المهدي فلم يزل معه حتى توفي في سنة (150هـ/767م) ينظر: ابن خلكان، ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص54-56.

[2] عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي: الفقيه العلامة المحدث، ولد في خلافة عبد الملك بن مروان بعد الثمانين ، كان فقيها كبيرا ورئيسا نبيلا، يخدم الدولة، توفي سنة (160هـ/ 776م) ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج7، ص93-95.

[3] الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، دت، ص187-197.

[4] يوسف بن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992، ج2، ص27.

[5] أبو البختري: هو وهب بن وهب بن كثير، قدم بغداد فولاه هارون القضاء بعسكر المهدي ثم عزله فولاه المدينة وجعل اليه حربها مع القضاء، ثم عزل ، فقدم بغداد، فتوفي بها سنة (200هـ/815م) وكان ضعيفا في الحديث، ينظر: ابن قتيبة، المصدر السابق، ص 516.

الرسول وعليه قباء ومنطقة مخنجرا بخنجر وهو حديث موضوع وقد ردّ عليه أحد الفقهاء قائلا:

ويل وعول لأبي البُختري إذا توافى النـــاس للمحشـــر

من قولـــه الزور واعلانه بالكذب في الناس على جعفر

والله ما جالســـــه ساعة للفقـــه في بـــدو ولا محـضر

يا قاتل الله ابن وهب لقد اعـــلن بالـــزور والمنكـر

يزعم أن المصطفى أحمدا أتاه جبريل التقـــي البـــري

عليـه حـف وقـبا أســود مخنجرا في الحقو بالخنجر[1]

وزاد ابن خلكان أن يحي بن معين[2] وقف على حلقة أبي البُختري وهو يحدث بهذا الحديث عن جعفر الصادق، فقال له: كذبت يا عدو الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم.[3] وقد تُرِك حديثه لذلك.[4]

---

[1] ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص40.

[2] يحي بن معين: أبو زكريا يحي بن معين بن عون، الحافظ المشهور، كان اماما عالما حافظا متقنا كانت ضعيفا في الحديث، ينظر: ابن قتيبة، المصدر السابق، ص516.

[3] المصدر نفسه، ج6، ص41.

[4] عبد الله اليافعي، ابي محمد بن أسعد بن علي بن سليمان، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997، ج1، ص354.

وقصد صنف بعض الفقهاء كتبا جاءت لتؤكد شرعية الحكم العباسي وذلك بطلب من الخلفاء أنفسهم، فقد صنف أبو يوسف القاضي كتاب الخراج بناء على طلب الرشيد،[1] إذ أكد في بداية هذا الكتاب ولو بطريقة غير مباشرة على شرعية حكمه فقال مخاطبا الرشيد: "يا أمير المؤمنين إن الله وله الحمد قد قلدك أمرا عظيما، ثوابه أعظم الثواب وعقابه أشد العقاب. قلدك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير قد استرعاكهم الله وائتمنك عليهم، وابتلاك بهم و ولاك أمرهم".[2]

وهو ما يدل على اقراره بحكم بني العباس، كما زاد ذلك أنه ذكر جملة من الأحاديث التي توجب طاعة الإمام وتحرم الخروج عليه وغير ذلك[3] وألف الإمام الواقدي كتاب "السنة والجماعة وذم الهوى وترك الخروج في الفتن".[4]

[1] ينظر: الملحق رقم (04)، ص124.

[2] أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، دط، بيروت، 1979، ص3.

[3] المصدر نفسه، ص9-11.

[4] صلاح الدين الصفدي، كتاب الوافي بالوفيات، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2000، ج4، ص179.

وقد دخل ابن السماك[1] يوما على هارون الرشيد فقال له: عظني، فقال يا أمير المؤمنين إن الله لم يرضي لخلافته في عباده غيرك، فلا ترض من نفسك إلا بما رضي الله به عنك، فإنك ابن عم رسول الله وأنت أولى الناس بذلك.[2]

ويمكن أن نلتمس في كلام هذا الفقيه دعم واضح وجلي لخلافة بني العباس اقراره بحقهم في خلافة النبي الكريم.

[1] ابن السماك: أبو العباس محمد بن صبيح، المعروف بابن السماك كان زاهدا عابدا حسن الكلام، صاحب مواعظ، توفي سنة (183هـ/799م) ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص301، 302.

[2] انطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري، سراج الملوك، تح: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1994، مج1، ص120.

المبحث الثاني: العمل في وظائف الدولة.

عمل عدد من الفقهاء السنة في أجهزة الدولة المختلفة وقاموا بأدوار عديدة في الحياة السياسية في العصر العباسي الأول وذلك من خلال الوظائف التي تقلدوها، سواء كانت في القضاء أوغيره من الوظائف.

إذ تولدت لدى الخلفاء العباسيين في العصر الأول رغبة ملحة في إشراك الفقهاء في الأمر ، لإصلاح ما اختل في أجهزة الدولة، وما يدل على ذلك قول أبي جعفر المنصور: ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم هم أركان الملك ولا يصلح الملك إلا بهم: أحدهم قاض لا تأخذه في الله لومة لائم، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي والثالث صاحب خراج يستقصي وليظلم الرغبة، فإني عن ظلمها غني والرابع صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة.[1]

هذه الرواية تشير إشارة واضحة إلى عدم رضا المنصور على عمله وعلى موظفيه وتؤكد على رغبته الملحة في الاستعانة بأصحاب الورع والتقوى من الفقهاء والعلماء، وهوما حرص عليه معظم خلفاء العصر الأول، لذا فقد عرضوا عليهم معاونتهم في تسيير شؤون الخلافة وسياسة الأمة إلا أن جلهم رفضوا ذلك، وهو ما سبق لنا ذكره والإشارة إلى أسبابه وقد تجلى هذا الرفض بالاستعفاف أوالفرار أوالتواري عن السلطان.

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ص1590-1591.

وقد ألح الخلفاء العباسيين على الفقهاء واستخدموا كل وسائل الترغيب والترهيب، فكان من الفقهاء من يصمد أمام هذه الضغوط ويبقى متمسكا بموقفه في عدم المشاركة في السلطة، فيتعرض للضرب والسجن وتهميش رأيه الفقهي مثل أبي حنيفة وسفيان الثوري، وهناك من لان وطاوع كشريك بن عبد الله وأبي يوسف القاضي وغيرهما.[1]

لذا فقد تقلد الفقهاء مناصب عدة في مختلف المجالات كان أكبرها القضاء إذ كان اهتمام الخلفاء العباسيين بالقضاء سمة واضحة في سياستهم القائمة على مزيج من الدين والسياسة[2] فلا ريب أن العدالة هي المعيار الرئيسي الذي يحكم بين الناس بموجبه على صلاح الدولة.

إن مكانة القاضي في الدولة العباسية هي التي جعلت الخلفاء يبذلون قصارى جهدهم لاختيارهم من الفقهاء الورعين الذين يحترمهم الناس ويجلون مكانتهم.[3]

وقد كان الخلفاء لا يعقدون لأحد القضاة حتى يختبروه بالفرائض وأبواب من الفقه، وقيل أنهم كان يسألون عن الجد النسب كثيرا.[4]

---

[1] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص188-189.

[2] احمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص 91.

[3] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص239.

[4] الغزالي، مقامات العلماء، المصدر السابق، ص 54.

فلما أراد المأمون أن يولى يحي بن أكثم[1] قضاء البصرة، أدخل عليه فاحتقره ولم يسأله شيئا، فقال له: سل يا أمير المؤمنين إن كان المقصود علمي لا خلقي فسأل عن مسألة أجاب عنها فتبين للمأمون أنه عرفها فأمر بكتابة عهده على البصرة.[2]

وقد كان بعض القضاة يحابون السلطة في أحكامهم للمحافظة على مناصبهم وكذا لتوسيع نفوذهم وتشير أمثلة كثيرة على ذلك منها ما ساقه وكيع في أخباره أن القاضي عباد بن منصور[3] حكم في أمر امرأة تخاصم عليها رجلان أحدها والي البصرة فحكم للرجل فعزله الوالي لذلك ثم اشترط عليه الحكم له لاعادته لمنصبه فقبل.[4]

---

[1] يحي بن أكثم: أبو محمد يحي بن أكثم بن محمد بن قطن بن سمعان كان عالما بالفقه بصيرا بالأحكام، كان ينتحل مذهب أهل السنة توفي سنة (258هـ/871م) ينظر: ابن خلكان:، المصادر السابق، ج6، ص147-165.

[2] الغزالي، المصدر المصدر السابق، ج6، ص147- 165.

[3] عباد بن منصور: أبو سلمة الناجي البصري، ولي قضاء البصرة خمس سنين، مات عباد سنة(152هـ/769م) ينظر: وكيع، المصدر السابق، ج2، 262.

[4] المصدر نفسه، ج2، ص262.

فقال ابنه في ذلك:

ألا أيها القاضي الذي الجـــور له عــادة

أعادوك لكي تقضي لمعــروف بحمـــادة[1]

فيرضى عامل البصر ويرضى الجند والقادة

ولــولا ذلك لم تــقعد ولم تعد من الســادة[2]

وقد كان بعض القضاة يلجؤون للحيل للإفتاء بما يحب الخلفاء وأَجْرَأُ المتفقهين على التوسع في التحيل أدومهم صلة بالقضاء[3] وقد عزي هذا لأبي يوسف القاضي خاصة، فذكر ابن خلكان أن الرشيد استدعاه مرة في رجل أبى أن يبيعه جارية أويهبها له لأنه حلف أن لا يبيعها أويهبها أحدا، وقال له الرشيد: هل له في ذلك من مخرج، فقال أبو يوسف يهب لك نصفها ويبيعك نصفها،فيكون لم يهب ولم يبع.[4]

وذكر السيوطي في تاريخه أيضا أنه لما أفضت الخلافة لهارون الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي، فأرادها، فقالت: لا أصلح لك فأرسل إلى أبي يوسف

[1] معروف يقصد به الوالي وحمادة المرأة التي اختصما عليها الرجلان ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص260، 261.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص262.

[3] محمد زاهد الكوثري، حسن التقاضي في سيرة الامام أبي يوسف القاضي وصفحة من طبقات الفقهاء، المكتبة الأزهرية للتراث، دط، القاهرة، 2002، ص67.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص385.

فسأله: أعندك في هذا شيء، فقال له يا أمير المؤمنين أكلما أدعت أمة شيئا ينبغي أن تصدق لا تصدقها، فإنها ليست مأمونة.[1]

ولما سمع الفقيه إبن المبارك بذلك قال: لا أدري مما أعجب من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرج عن حرمة أبيه؟ أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها؟ قال إهتك حرمة أبيك واقض شهوتك وصيِّره في رقبتي.[2]

وقد روى المزي في تهذيبه أن القاضي حفص بن غياث عرضت عليه قضية حبس فيها وكيل أم جعفر زوج هارون الرشيد، فشكت ذلك إلى هارون وقالت: قاضيك هذا أحمق حبس وكيلي واستخف به، فمُره لا ينظر في الحكم ويولي أمره أبا يوسف القاضي.[3]

وهو دليل على أن أبا يوسف القاضي كان يحابي السلطان وحاشيته في أحكامه لذا اختارته حكما في قضيتها.

وقد زاد المزي على ذلك أنها قالت للرشيد لا أنا ولا أنت إلا تعزل حفصا فعزله عن الشرقية وولاه قضاء الكوفة.[4]

---

[1] السيوطي، المصدر السابق، ص465.

[2] المصدر نفسه، ص465.

[3] المزي، المصدر السابق، ج7، ص68.

[4] المصدر نفسه ، ج7، ص68.

كما اشتهر عدة قضاة في العصر العباسي الأول ببعض الصفات الذميمة، فمنهم من اشتهر بكذبه على الرسول صلى الله عليه وسلم كأبي البختري، ومنهم من اشتهر بالكبر وحب الشرف كالحجاج بن أرطأة الذي ذكره العقيلي في كتابه الضعفاء قائلا: "أنه محب للشرف لا يصلي مع الناس يتجنب الجماعة، فسئل عن ذلك فقال: أصلي مع هؤلاء فيزحموني".[1]

وزاد أنه خرج مرة مع أصحابه فمر بمساكين على الطرق فسلم صاحبه عليهم فقال له: "إنه لا يسلم على أمثال هؤلاء".[2]

وإذا كان بعض القضاة قد أساءوا استخدام مناصبهم فإن هذا المجال لم يخل من أصحاب الدين والورع والتقوى والبعد عن التأثر بذوي السلطان والجاه والقرابة، فالفقيه غوث بن سليمان[3] عرف بعدله ولو كان ذلك مع الخليفة نفسه.[4]

---

[1] العقيلي، أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد، كتاب الضعفاء الكبير، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، دت، ج1، ص273.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص273.

[3] غوث بن سليمان: قضى بالعراق وبقي فيه حتى توفي سنة (154هـ/770م) ينظر: وكيع، المصدر السابق، ج1، ص639.

[4] الكندي، ابي عمر محمد بن يوسف، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تح:رفن كست، مطبعة الآبا اليسوعيين، دط، بيروت، 1908، ص375، 376.

وقد تقلد الفقهاء عددا من الوظائف في الدولة والتي كانت ذات طابع ديني كان القضاء أهمها وقد أكثرنا من ذكر أصحابه وسنتطرق فيما يلي لمناصب أخرى تقلدها الفقهاء.

إذ ظهر في العصر العباسي الأول مصطلح الصحابة ويقصد به صحابة الخليفة العباسي وخاصته ومشاوروه المقربون إليه.[1]

فكان الحجاج بن أرطاة من صحابة أبي جعفر ثم صار بعد ذلك إلى المهدي حتى توفي في خلافة أبيه.[2]وكان عيسى بن موسى لا يقطع أمرا دون ابن شبرمة.[3]

وقد تزايد صحابة الخليفة من الفقهاء في عهد الرشيد وكان من بينهم كبار العلماء كيوسف القاضي والكسائي.[4]

أما فيما يخص الولاية فمن استعراضنا لقائمة الولاة في العصر العباسي الأول نجد أنها تكاد تخلو من الفقهاء السنة إذ اعتمد الخلفاء في بداية عهد الدولة العباسية في

[1] عمر فاروق، المرجع السابق، ص62.

[2] ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص55.

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج6، ص348.

[4] المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص282- 285.

الولايات على أفراد البيت العباسي وكبار رجال الدعوة، وكان ذلك في رأيهم ضروري لضمان ولاء الولاة لهم وترسيخ قواعد الدولة.[1]

ويبدو أن الفقهاء قد انخرطوا في هذه الوظائف فيما بعد خوفا على أن تؤول لغيرهم مِنْ مَنْ لا يستحقها، فقد ورد في الروايات أن سفيان الثوري لام عمر بن حوشب[2] على توليه ولاية البصرة، حتى أنه كان يعرض عنه، ولا يرد على سلامه، فقال له: يا سفيان نحن والله أنفع للناس منك نحن أصحاب الدِيات وأصحاب الحملات وأصحاب حوائج الناس والإصلاح بينهم، وأنت رجل نفسك، فرجع للحديث معه.[3]

وكان الشافعي واليا على اليمن ويروى أن بعضهم أراد إعطاءه المال ليخون عمله فأبَى فعادوه لذلك.[4]

---

[1] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص192.

[2] عمر بن حوشب: أحد علماء الحديث روى عن اسماعيل بن أمية وروى عنه عبد الرزاق الصنعاني، كما روى له أبو داود في كتاب المراسيل كثيرا، كان معاصرا لسفيان الثوري ، ينظر: المزي، المصدر السابق، ج21، ص312، 313.

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج7، ص 246.

[4] الأصفهاني ، المصدر السابق ، ج7، ص85.

وقد جمع سوار بن عبد الله[1] بين امرة البصرة وقضاءها[2] وكان أبو البختري على المدينة.[3]

أما فيما يخص الوزارة فقد رغب الفقهاء السنة عن هذا المنصب لما له من تبعات ومسؤوليات لدرجة أننا لم نرى أيًا من الفقهاء المعروفين في منصب الوزارة، بإستثناء بعض صغار الفقهاء فضلا أن الخلفاء العباسين اعتمدوا في هذا المنصب في الغالب على كبار القادة العسكرية أمثال الخلال والموريانى وغيرهما.[4]

وتولى الشرطة من الفقهاء السنة في عهد أبي جعفر شبيب بن شيبة[5]،[6] ولما آلت الخلافة للمهدي جعل على شرطته نصر بن مالك الخزاعي.[7]

---

[1] سوار بن عبد الله: هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة، نزل بغداد وولي بها قضاء الرُصافة والجانب الشرقي لبغداد، (859/245م)، ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج10، ص288 – 293.

[2] يوسف بن تغرى بردي، المصدر السابق، ص516.

[3] ابن قتيبة الدينوري، الامامة والسياسة، المصدر السابق، ج2، ص516.

[4] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص191.

[5] شبيب بن شيبة: الخطيب البصري المحدث، قدم بغداد أيام المنصور واتصل بالمهدي من بعده، وكان كريما عليهما وأثيرا لهما، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج2، ص458.

[6] الحنبلي: شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، شذرات الذهب في أخبار من الذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1988، مج2، ص285.

[7] أحمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص111.

وتولى أبو عبد الرحمن عاصم بن الأحول الحِسْبةَ وهو من المحدثين كان محتسبا بدء حياته ثم تولى القضاء.[1]

وعين على بيت المال الفقيه فرج بن فضالة وهو محدث كان قد أقدمه المنصور من الشام إلى بغداد وتولى له بيت المال في أول خلافة الرشيد.[2]

و تولى خراج المدينة المنورة المحدث سليمان بن بلال التميمي[3].[4]

كما اشترك فقهاء السنة في تهذيب أبناء الخلفاء فتتلمذ أولادهم على يد فقهاء أجِلاء، فقد تتلمذ المهدي على يد محمد بن مسلم بن وضاح الملقب بأبي سعيد الجزري الذي كان محدثا ثقة وسفيان حسين بن الحسين الذي كان بصيرا بعلوم القرآن ورواية الحديث.[5]

وقد أرسل الخليفة المهدي إلى الإمام مالك بن أنس ليعلم أولاده فرفض ذلك وقال أن العلم يُؤتى أهله.[6]

---

[1] وكيع، المصدر السابق، ج4، ص685.

[2] أحمد اسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص112.

[3] سليمان بن بلال: الإمام المفتي الحافظ، أبو محمد القرشي التميمي، مولده في حدود سنة مائة هجري، توفي بالمدينة سنة (172هـ/788م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج7، ص425 – 427.

[4] العسقلاني، المصدر السابق، ج4، ص175، 176.

[5] أحمد إسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص135، 136.

[6] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج8، ص63.

ومن العلماء الأصمعي[1] الذي قدم بغداد أيام الرشيد وأدب أحد أبناءه[2] وأدّب أبو عبد الرحمن عبيد بن حميد الحذاء الأمين والمأمون وهو محدث ثقة.[3]

وذُكر أن المتوكل أراد الإمام أحمد بن حنبل في تأديب ولده المعتز والإقامة بسامراء فأجابه في قبوله الاقامة بسامراء مجاملةً لأنه كان عاجزا آخر أيامه.[4]

أما فيما يخص الرواتب التي تقاضاها الفقهاء في هذه الوظائف فلا تسعفنا المصادر بأرقام لرواتب الموظفين في الدولة العباسية غير نتف نادرة هنا وهناك، فالخليفة المنصور خَيَّر العالم شبيب بن شيبة بين الرواتب والعمل بقرب الخليفة فطلب الراتب مع القرب من الخليفة.[5]

---

[1] الأصمعي: الإمام العلامة المحدث، أبو سعيد عبد الملك بن قريب ولد سنة بضع وعشرين ومئة هجري، تصانيفه ونوادره كثيرة، مات الأصمعي سنة (215هـ/830م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج10، ص175 – 181.

[2] أحمد إسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص136.

[3] المرجع نفسه، ص138.

[4] أبي عبيد الله حنبل، ابن اسحاق بن حنبل، ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل، تح: محمد نَغَش، دن، ط2، دم، 1983، ص80.

[5] ابن قتيبة الدينوري، الامامة والسياسة، المصدر السابق، ج2، ص141.

ومنح الخليفة المهدي القاضي في عهد الرشيد ثلاثين دينارا في الشهر وهو راتب جيد[1]، وربما كانت عناية الرشيد بالرواتب لضمان استقلالية القضاء ومنع هؤلاء من اللجوء للرشوة وكذا لترغيب الفقهاء لتولي هذه المناصب.

ومن كل ما سبق نستخلص أن جملة من الفقهاء السنة سواءًا كانوا من أصحاب الرأي أو أصحاب الحديث عملوا في وظائف لدى السلطان وإن تعددت الأسباب والنيات فليس كل من تولى العمل في الدولة كان مفسدا أو محابيا للسلطان، فقد ذكرنا أمثلة على الفقهاء أدّوْا العمل على أكمل وجه.

[1] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص208.

المبحث الثالث: قبول جوائز السلطان

لقد سبق وذكرنا أن الفقهاء السنة اختلفوا في قبول منح الحكام وأعطايتهم، تبعا لاختلاف آرائهم في ذلك لذلك انقسموا إلى عدة أصناف.

ونحن هنا بصدد ذكر الفريق الذي قبل جوائز السلطان وأعطياته فقد حاول الخلفاء تقريب الفقهاء السنة ومنحوهم العطايا والجوائز مما شجع الفقهاء على مجالستهم ومنادمتهم وتقديم المشورة إليهم، وكذلك حفزهم على تصنيف الكتب لهم، وقد بلغ بعض الفقهاء بسبب ذلك من حسن الحال ورغد العيش ما يوازي حال كبار رجال الدولة.[1]

وما يجدر بنا أولا ذكره أن هذا الفريق من الفقهاء وإن قبل جوائز السلطان فهو لا يعني أن ليس فيه من لم يقم بواجب النصح والإرشاد والنهي عن المنكر للخلفاء.[2]

فالإمام الغزالي وإن اختلف في كتابه الإحياء في مصادر دخل السلطان وما إذا كانت حلالا أو حرام فهو أقر أن أئمة أجلاء أخذوا منها وذكر أسمائهم فقال: "كالشعبي وإبراهيم وابن أبي ليلى وأخذ الشافعي من هارون ألف دينار وأخذ مالك من الخلفاء أموالا جمة...".[3]

---

[1] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، المرجع السابق، ص200.

[2] عبد العزيز البدري، الإسلام بين العلماء والحكام، منشورات المكتبة العلمية، دط، المدينة المنورة، دت، ص127.

[3] الغزالي، إحياء علوم الدين، تح: بدوي طبابة، مكتبة كرياطه فوترا، دط، القاهرة، دت، ج2، ص135.

وقد ذكر وكيع في تاريخ قضاته أن أبا العباس أو أبو جعفر منح الفقيه ابن شبرمة مائة جريب من الأرض فقبلها.[1]

ووفد سوار بن عبد الله على المنصور فأهداه جبة وشيء وطيلسان[2]، ووعظ الأصمعي هارون مرة فجازاه بعشرة آلاف درهم[3]، فأضحكه مرة فأجازه بالمال.[4]

وكان الرشيد إذا حج حَجّ معه مائة فقيه، كان هو من أنفق على حجتهم، وإذا لم يحج ينفق على ثلاثمائة فقيه بالمال والكسوة.[5]

ويبدو أن أبا يوسف القاضي كان أوفرهم حظا في هذا فكان يتلقى الأعطيات متى سُرى الرشيد بأحكامه، فذكر إبن خلكان أنه أعطاه مائتي ألف درهم وعشرين تختا ثيابا لأنه أتى بحيلة فقهيه مكنت الرشيد من جارية أرادها.[6]

كما أن هذه الأعطيات لم تكن من الخلفاء فحسب بل من زوجاتهم وأولادهم فيُروى أن السيدة زبيدة إبنة جعفر زوج هارون الرشيد كتبت إلى أبي يوسف القاضي: ما ترى في كذا وأحب الأشياء إليّ أن يكون الحق فيه كذا، فأفتاها بما أحبت، فبعثت إليه مالا كثيرا،

---

[1] وكيع، المصدر السابق، ج1، ص535.

[2] المصدر النفسه، ج2، ص272.

[3] الغزالي: مقامات العلماء، المصدر السابق، 42.

[4] الزبير بن بكار: الأخبار الموفقيات، تح: سامي مكي العاني، عالم الكتب، ط2، بيروت، 1996، ص73.

[5] أحمد إسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص205.

[6] ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص385.

فقال له جليسه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: من أهديت له هدية فجلساؤه شركاء فيها، فقال له: كان ذلك حين كانت الهدايا اللبن والتمر،[1]

وقد حلف الرشيد مرة أن له جنتان وشق عليه ذلك فبعث لليث بن سعد[2] فروى له ذلك فقال له: احلف ثلاثا أنك تخاف الله، فحلف الرشيد، فقال له: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[3]، فسُرّ الرشيد منه وأقطعه قطائع كثيرة بمصر.[4]

ومنح المأمون أصحاب الحديث مالا ليعينهم على ما تخصصوا فيه، فأخذوه جميعا إلا الإمام أحمد بن حنبل.[5]

ولا يَخْفَنَا في هذا المقام أن نقول أن هناك قسما من الفقهاء كان يتملق للخلفاء طمعا في الحصول على جوائزهم حتى لو اضطره هذا إلى وضع حديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قَدِم على المهدي عشرة محدثين منهم غياث بن ابراهيم[6]، وكان المهدي

---

[1] المصدر نفسه، ج6، ص386.

[2] الليث بن سعد: ابن عبد الرحمن الإمام الحافظ، مولده بقرقشندة سنة (94هـ/712م)، كان الليث فقيه مصر ومحدثها، أراده المنصور على أن ينوب له على الأقاليم فاستغنى عن ذلك، خرج لبغداد سنة (161/777م) توفي سنة (175هـ/791م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج8، ص136 – 161.

[3] سورة الرحمن: الآية 46.

[4] ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص129.

[5] محمد أبو زهرة، الامام أحمد بن حنبل، المرجع السابق، ص71.

[6] غياث بن إبراهيم: أقدمه المهدي لبغداد فأقام بها مدة، محدث مُضَعف، وقيل أنه كذاب، سئل عنه يحي بن معين فقال كوفي كذاب خبيث، وقيل غير ثقة ولا مأمون، ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج14، ص276، 277.

يحب الحمام، فلما دخل غياث هذا حدثه عن الرسول قائلا: "لا سبق إلا في حافر أو نصل" وزاد فيه جناح، فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم: فلما خرج قال المهدي: أَشْهد أن قفاك قفا كذاب، وإنما استجلبت ذلك، وأمر بذبح الحمام.[1]

وكان الخلفاء العباسيين يجازون الفقهاء السنة كلما شكروا حكمهم أو أَقَرُوا بشرعيتهم، فقد أورد الذهبي في سيره أن الرشيد أحضر أبا بكر بن عياش من الكوفة فسأله: قد أدركت أيام بني أمية وأيامنا، فأينا خير؟ فقال له الفقيه: كانوا أنفع للناس، وأنتم أقوم للصلاة، فأجازه الرشيد بستة آلاف دينار.[2]

[1] السيوطي، المصدر نفسه، ص445.

[2] الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج8، ص498.

خاتمـــــة

خاتمة

وهكذا فقد هدفت من خلال هذه الدراسة تقصي ما أمكن علاقة الفقهاء السنة مع الخلفاء العباسيين في العصر العباسي الأول، وقد خلصت الى عدة نتائج أهمها:

1. كان للعلم الديني أي الفقه وأصحابه والقائمين عليه أي الفقهاء مكانة جليلة وكبيرة في العصر العباسي الأول سواء لدى العامة أو لدى الخلفاء أنفسهم وبما أن الخلافة العباسية قامت على إثر دعوة دينية سياسية فقد حاول العباسيون الأوائل صبغ حكمهم بصبغة دينية ولم يكن ذلك ليتحقق لهم لولا الفقهاء خاصة السنة منهم باعتبار مكانتهم الاجتماعية وكذا الفكرية بين العامة.

2. إن العصر العباسي الأول هو عصر الأئمة الكبار والفقهاء الأجلاء إذ عاش فيه الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية الامام مالك بن أنس والامام أبو حنيفة والامام الشافعي، الامام احمد بن حنبل ففيه بدأت تظهر ملامح أكبر المذاهب الفقهية وأشهرها على الاطلاق وفيه تشكلت مدرستا الرأي والحديث فكانت المدرسة الأولى بالكوفة وسميت مدرسة الرأي لاعتماد اصحابها على الرأي في الفقه وابتعادهم عن الأثر، أما اصحاب الحديث فسميوا كذلك لاعتمادهم على الحديث والأثر في استصدار الاحكام وتركهم الرأي.

3. ظل الفقهاء السنة طيلة العصر العباسي الأول ينظرون للخلافة على أنها قوام دولة الاسلام، فقد بينوا أهمية الخلفاء ووجوب طاعتهم وحدود هذه الطاعة ،كما أن الخلفاء

العباسيون عرفوا قدر الفقهاء وأجلوهم وقدروهم وفي معظم الأحيان كانوا يستجدون ارضاءهم وتقريبهم لهم والاستسقاء من علمهم.

4. إن الفقهاء السنة وان رأوا عدم شرعية الحكم العباسي لأن حكمهم جاء عن طريق الدماء والسفك والقتل وليس عن طريق الشورى إلا أن جلهم أنكر الخروج عليهم ورأوا وجوب التزام الجماعة وذلك درءا للفتن وحقنا لدماء المسلمين.

5. الفقهاء السنة لم يعيشوا على هامش الحياة السياسية بل كان لهم مشاركات فاعلة فيها وذلك من خلال اشتراكهم في أجهزة الدولة المختلفة أو حتى عبر الوعظ والارشاد فقد كانوا لا يخافون في الله لومة لائم.

6. وقد اتضح من خلال البحث أن هناك فقهاء انتهجوا أسلوب المعارضة أي عدم الرضا عن الحكم العباسي، وبأسلوبين مختلفين أعتمد فريق منهم على الخروج والثورة وذلك بدعم الثورات المناهضة للحكم العباسي وحتى الخروج مع الثوار، وذهب البعض الاخر لإصدار فتاوى تجيز الخروج وتحث الناس على قتال الامام الظالم، وخير مثال عن هذه الفئة الامام أبو حنيفة النعمان الذي ساند ثورة الاخوين ابراهيم ومحمد وحث الناس على الخروج معهما ،أما الفئة الثانية من الفقهاء وان لم تكن راضية على العباسيين فقد انتهجت الانكار باللسان دون اليد وذلك عن طريق مقاطعة السلطان وتحريم الاتصال به، رفضا العمل في أجهزة الدولة أو أخذ أموال السلطة، وذلك درءا للفتن والتزاما للجماعة، ويمكن اتخاذ الامام ابن حنبل مثال على ذلك إذ رغم الامتحان الذي تعرض له من طرف الخلفاء

العباسيين إذ أوذي الامام كثيرا أثناء محنة خلق القران إلا أنه لم يجيز الخروج عليهم وذلك خوفا على الأمة من الشقاق اذ عاصر الامام فتنة الأمين والمأمون ورأى ما لحق المسلمين من لوعات الفتن.

7. وقد نجح العباسيون في استقطاب وكسب فئة من الفقهاء وفشلوا في جذب فئة أخرى، إذ واجه الخلفاء صعوبة في إقناع الفقهاء وخاصة الائمة منهم في العمل لدى أجهزة الدولة، مما دفعهم الى البحث عن فقهاء أقل كفاءة، إلا أن ذلك لا يعني خلو أجهزة الدولة العباسية من فقهاء أدوا عملهم على أكمل وجه، إذ وقفنا على جمهرة من الفقهاء رأوا العمل والانخراط في أعمال السلطان واجب لازم فالقاضي شريك أجاب سفيان الثوري عندما لامه على تولي القضاء أنه لابد للناس من قاضي.

8. واتضح من خلال الوظائف التي تقلدها الفقهاء في الدولة أنها متنوعة و متعددة ولم تقتصر على القضاء والحسبة وامامة الصلاة وغيرها بل تعدتها للولاية وبيت المال والشرطة وتأديب أبناء الخلفاء.

9. تقرب فريق من الفقهاء السنة للسلطان وحاولوا استغلال علمهم استجداءا لأمواله وهداياه وعطاياه حتى أن بعضهم تجرأ على وضع الأحاديث والكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم لتدعيم مركزه لدى الخليفة.

الملاحق

الملحق رقم (01): جانب من خطبة أبي العباس السفاح لدى توليه الخلافة.

الحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه تكرمة وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوام به والذائبين عنه والناصرين له وألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها وأهلها، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته، وأنشأنا من شجرته واشتقنا من نبعه، جعله من أنفسنا عزيز عليه ما عنتنا حريص علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم، ووضعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتابا يتلى عليهم. [1]

[1] الطبري، المصدر السابق، ص1473.

الملحق رقم (02): مدرسة الرأي.[1]

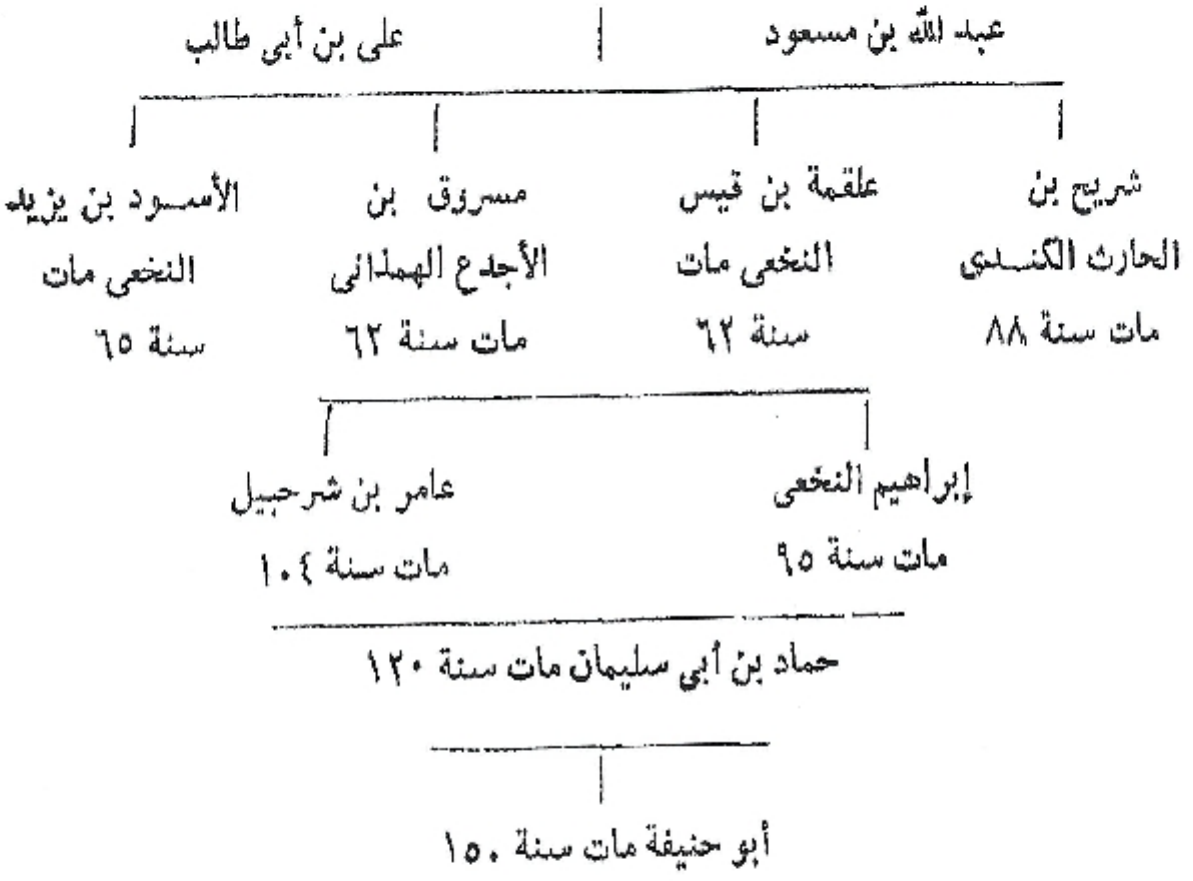

[1] محمد أبو زهرة، الإمام الشافعي، المرجع السابق، ص38.

الملحق رقم (03): مدرسة الحديث.[1]

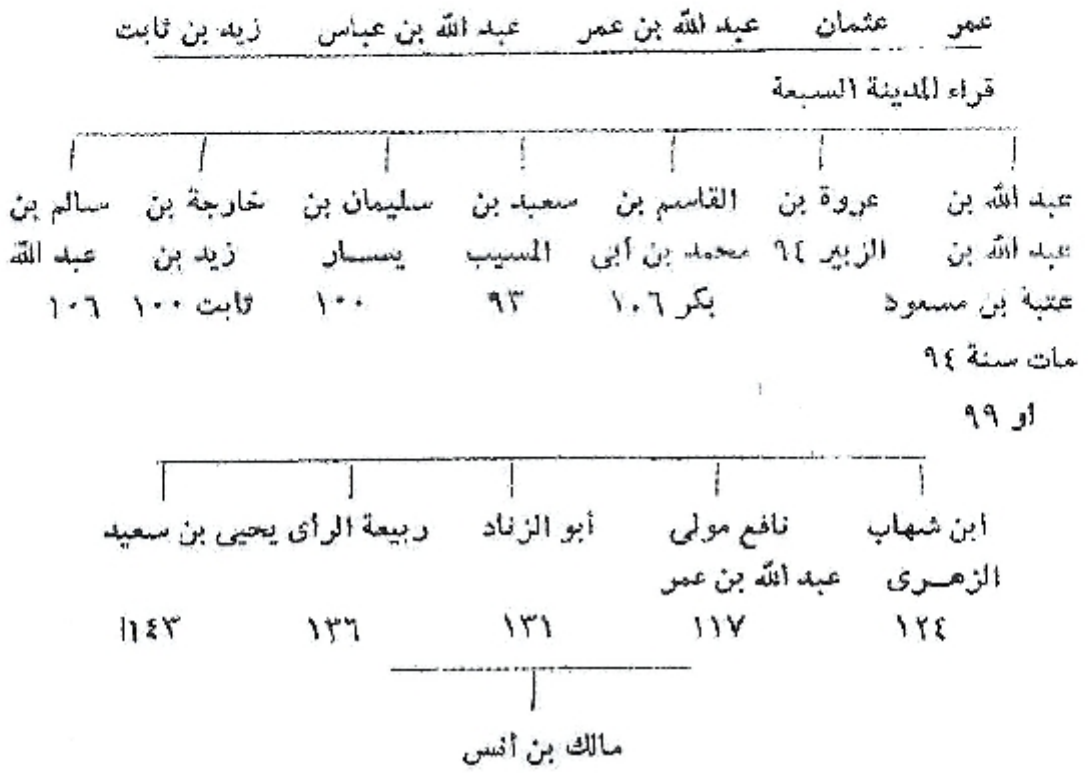

[1] المرجع نفسه، ص 38، 39.

الملحق رقم (04): احدى الرسائل التي بعثها أبو يوسف القاضي إلى هارون الرشيد.

ورأيت – أبقى الله أمير المؤمنين– أن تتخذ قوما من أهل الصلاح والدين والأمانة فتوليهم الخراج، ومن وليت منهم فليكن فقيها عالما مشاورا لأهل الرأي عفيفا لا يطلع الناس منه على عورة، ولا يخاف في الله لومة لائم، ما حفظ من حق وأدى من أمانة احتسب به الجنة، وما عمل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت، تجوز شهادته إذا شهد، ولا يخاف منه جور في حكم إذا حكم، فإنك إنما توليها جباية الأموال، إني قد أراهم لا يحتاطون فيمن يولون الخراج، إذا لزم الرجل منهم باب أحدهم أياما ولاه رقاب المسلمين وجباية خراجهم، ولعله ألا يكون عرفه بسلامة ناحية ولا بعفاف ولا بإستقامة طريقه، ولا السؤال عن طرائقهم كما يجب ذلك فيمن أريد للحكم والقضاء، وتقدم إلى من وليت أن لا يكون عسوفا لأهل عمله ولا محتقرا لهم ولا مستخفا بهم، ولكن يلبس لهم جلبابا من اللين يشوبه بطرف من الشدة والإستقصاء من غير أن يظلموا أن يحملوا ما لا يجب عليهم، واللين يشوبه بطرف من الشدة والإستقصاء من غير أن يظلموا أو يحملوا ما يجب عليهم، واللين للمسلم والغبظة على الفاجر، والعد على أعلى أهل الذمة، وإنصاف المظلوم، والشدة على الظلم والعفو عن الناس، فإن ذلك يدعوهم الى الطاعة، وإن تكون جبايته للخراج كما يرسم له، وترك الابتداع فيما يعاملهم به، والمساواة بينهم في مجلسه ووجهه حتى يكون القريب والبعيد والشريف والوضيع عنده في الحق سواء، وترك إتباع الهدى فإن الله ميز من إتقى وآثر إيثارك ذلك على غيره، ثم بدل منهم مبدل أو خالف منهم مخالف أن يأخذه الله به دونك وأن يكتب لك أجرك وما نويت إن شاء الله.[1]

[1] أبي يوسف القاضي، المصدر السابق، ص107، 108.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع.

قائمة المصادر:

1.ابن أبي الحاتم، عبد الرحمن الرازي، (ت327هـ/938م)، الجرح والتعديل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، دت.

2.ابن الأثير، عز الدين علي بن ابي الكرم، (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987.

3.ابن الجوزي، جمال الدين ابي الفرج، (ت597هـ/1201م)، صفة الصفوة، تح: محمود فاخوري، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، بيروت، 1985م.

4.ابن الطقطقي، محمد بن علي، (ت709هـ/1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، د.ط، بيروت، د.ت.

5.ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد، (ت580هـ/1184م)، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تح: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 1999.

6.ابن الكثير، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر، (ت774هه/1372م)، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1998.

7.ابن النديم، أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق، (ت438هـ/1046م)، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدامى والمحدثين وأسماء كتبهم، تح: رضا تجدد، دن، دط، دت.

8.ابن تيمية، أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، (ت728هـ/1327م)، منهاج السنة النبوية، تح: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط1، بيروت، 1986.

9.ابن خلدون، عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي المغربي، (ت808هـ/1405م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط: خليل شحادة، مر، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، لبنان، 2000.

10. ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد، (ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، د.ط، بيروت، 1971.

11. ابن دحية، ابو الخطاب مجد الدين عمر بن الحسين الكلبي، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تح: مديحة الشرقاوي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، مصر، 2001.

12. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، (ت630هـ/1232م)، كتاب الطبقات الكبير، تح: علي محمد عمر، مكتبة الحانجي، دط، القاهرة، دت.

13. ابن عبد البر، أبي عمر يوسف الأندلسي، (ت463هـ/1071م)، الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء مالك بن أنس الأصبحي المدني ومحمد بن إدريس الشافعي المطلبي وأبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وعيون أخبارهم والشاهدة بإمامتهم وفضلهم في آدابهم وعلومهم، اعتنى به: عبد الفتاح بوغدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 1997.

14. (.....)، جامع بيان العلم وفضله، تح: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، دط، د م ن، دت.

15. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الاندلسي، (ت268هـ/881م)العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983م.

16. ابن قتيبة، ابي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، (ت276هـ/889م)، الإمامة والسياسة، تح: علي شيري، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1990.

17. (.....)، المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط4، القاهرة، دت.

18. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري، (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1993.

19. أبي عبد الرحمن شرف الحق العظيم أبادي محمد أشرف بن أمير بن حيدر الصديقي، عون المعبود على شرح سنن أبي داود: مر محمد ناصر الدين الألباني، دار ابن الحزم ط1، بيروت، 2005.

20. أبي عبيد الله حنبل، ابن اسحاق بن حنبل، ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل، تح: محمد نَغْش، دن، ط2، دم، 1983.

21. أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم، (ت182هـ/798م)، كتاب الخراج، دار المعرفة للطباعة والنشر، دط، بيروت، 1979.

22. أحمد الأصفهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله، (ت430هـ/1039م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دط، بيروت، 1996.

23. الأزدي، جمال الدين ابو الحسن علي بن ظافر بن حسين، (ت613هـ/1216) أخبار الدولة المنقطعة، تح: عصام هزايمية وآخرون، مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، ط1، الأردن، 1999م.

24. الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، (ت330هـ/941م)، مقالات الاسلامين واختلاف المصلين، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة العربية، ط1، القاهرة، 1950.

25. الأصفهاني، أبي فرج، (ت284هـ/897م)، مقاتل الطالبين، تح: السيد أحمد صقر، ط2، النجف، 1353.

26. البسوي، أبي يوسف بن سفيان، (ت677هـ/1278م)، كتاب المعرفة والتاريخ، تح: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط1، المدينة المنورة، دت.

27. البغدادي، عبد القاهر بن الطاهر، (ت429هـ/1037م) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، دط، بيروت، 1990.

28. البلاذري، احمد بن يحي بن جابر، (ت279هـ/896م)، أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، رياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1996.

29. بن شهر أشوب، ابي جعفر بن علي، مناقب آل أبي طالب، تح: يوسف البقاعي: دار الأضواء، ط2، لبنان، 1991.

30. الترميذي: أبو عبد الله محمد الحكيم، (ت279هـ/892م)، نوادر الأصول في معرفة آحاديث الرسول، دط، دار صادر، بيروت، دت.

31. التميمي، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، (ت333هـ/944م)، المحن، تح: يحي وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2006.

32. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، (ت255هـ/869م)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1960.

33. الحموي، ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت، (ت622هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، د.ط، بيروت، د.ت.

34. الحنبلي: شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري، (ت1089هـ/ 1678م)، شذرات الذهب في أخبار من الذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط1، بيروت، 1988.

35. الخطيب البغدادي، ابو بكر احمد بن علي، (ت463هـ/1070م)، تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، ط1، بيروت، 2001.

36. خليفة بن خياط، ابي عمرو بابن أبي هبيرة، (ت640هـ/1242م)، تاريخ خليفة بن خياط، تح: اكرام ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، 1985.

37. الديار البكري، حسين بن محمد بن الحسن، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة الشعب، دط، بيروت، دت.

38. الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود، (ت282هـ/895م) الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، مر: جمال الدين الشيال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دط، د.م.ن، د.ت.

39. الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان، (ت748هـ/1347م)، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، دت.

40. (.....)، سير أعلام النبلاء، تح: حسين الأسد، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت، 1996.

41. (.....)، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت، 1991.

42. الزبيدي، محب الدين أبو الفيض محمد مرتضى الحسيني الواسطي، (ت1205هـ/1970م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: نواف الجراح، مر: سمير شمس، دار الأبحاث للترجمة ولنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011.

43. الزبير بن بكار، (ت256هـ/896م)، الأخبار الموفقيات، تح: سامي مكي العاني، عالم الكتب، ط2، بيروت، 1996.

44. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان بن ابي بكر، (ت911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، تح: محي الدين عبد الحميد، مطبعة الفجالة الجديد، د ط، مصر، 1969.

45. الشهرستاني، أبو الفتح تاج الدين عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، (ت548هـ/1153م)، الملل والنحل، تح: سيدكلاني، دار المعرفة، دط، بيروت، 1975.

46. الشيرازي، إبراهيم بن علي بن يوسف، (ت496هـ/1083م)، طبقات الفقهاء، تح: احسان عباس، دار الرائد العربي، دط، بيروت.

47. صلاح الدين الصفدي، (ت764هـ/1362م)، كتاب الوافي بالوفيات، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 2000.

48. الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، (ت310هـ/922م)، تاريخ الامم والملوك، تح:ابو صهيب الكرمي، دار الافكار الدولية، دط، عمان.

49. الطرطوشي، أبو بكر محمد بن الوليد الفهري، (ت520هـ/1126م)، سراج الملوك، تح: محمد فتحي أبو بكر، الدار المصرية اللبنانية، ط1، القاهرة، 1994.

50. عبد الله اليافعي، ابي محمد بن أسعد بن علي بن سليمان، (ت768هـ/1366م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997.

51. العسقلاني، احمد بن علي بن حجر شهاب الدين، (ت856هـ/1452م)، تهذيب التهذيب، اعتنى به إبراهيم الزيبق، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، دط، د م ن، دت.

52. (.....)، فتح الباري، تح: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، ط1، القاهرة، 1987.

53. العقيلي، أبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد، (ت322هـ/933م)، كتاب الضعفاء الكبير، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، دت.

54. الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد، (ت505هـ/1111م)، إحياء علوم الدين، تح: بدوي طبابة، مكتبة كرياطه فوترا، دط، القاهرة، دت.

55. (.....)، مقامات العلماء بين يدي الخلفاء والأمراء، تح: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003.

56. الكندي، ابي عمر محمد بن يوسف، كتاب الولاة وكتاب القضاة، تح:رفن كست، مطبعة الآبا الياسوعيين، دط، بيروت، 1908.

57. الماوردي، أبو الحسن، (ت450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: خالد السبع، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 1999.

58. محمد زاهد الكوثري، (ت277هـ/890م)، حسن التقاضي في سيرة الامام أبي يوسف القاضي وصفحة من طبقات الفقهاء، المكتبة الأزهرية للتراث، دط، القاهرة، 2002.

59. المزي، جمال الدين أبي الحجاج يوسف، (ت746هـ/1345م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح: عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1996.

60. المسعودي، ابي الحسن علي بن الحسين، (ت346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2005.

61. النووي، يحي محي الدين بن شرف، (ت448هـ/1056م)، صحيح مسلم، المطبعة المصرية، ط1، مصر، 1930.

62. الهمداني، ابن فقيه ابو بكر احمد بن محمد، بغداد مدينة السلام، وزارة الاعلام، ط1، بغداد، 1977.

63. وكيع محمد بن خلف بن حيان، (ت306هـ/918م)، أخبار القضاة، مر: سعيد محمد اللحام، عالم الكتب، دط، د م ن، دت.

64. يوسف بن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن، (ت813هـ/1410م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992.

قائمة المراجع:

1. ابراهيم أيوب، التاريخ العباسي السياسي والحضاري، دار الكتاب العالمي، ط1، بيروت، 1989.

2. أحمد اسماعيل الجبوري، علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الأول، دار الفكر، ط1، الأردن، 2009.

3. أحمد عبد الرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، ط3، بيروت، 1999م.

4. أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دط، بيروت، دت.

5. إلياس دردور، تاريخ الفقه الإسلامي، دار ابن الحزم، ط1، بيروت، 2010.

6. جرجس جرجس، معجم المصطلحات الفقهية والقانونية، الشركة العالمية للكتاب، ط1، د م ن، 1996.

7. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، ط14، بيروت، 1996.

8. حسن أحمد محمود، أحمد ابراهيم الشريف، العالم الاسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط5، مصر، د.ت.

9. حسين عطوان، الدعوة العباسية، تاريخ وتطور، دار الجيل، ط2، بيروت، 1995.

10. حسين عطوان، الفقهاء والخلفاء في العصر الأموي، دار الجيل، ط8، بيروت، 1991.

11. خير الدين يوجه سوي، تطور الفكر السياسي عند أهل السنة والجماعة، فترة تكوينية من البداية حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 1993.

12. الدميجي، عبد الله بن عمر بن سليمان، الامامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، دن، الرياض، دت.

13. رحيم كاظم محمد الهاشمي، عواطف محمد العربي شنقارو، الحضارة العربية الاسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، دط، دن، القاهرة، دت.

14. سعد رستم، الفرق والمذاهب الاسلامية منذ البدايات، دار الأوائل، دط، دمشق، 2004.

15. شاكر مصطفى، دولة بين العباس، دار خالد بن الوليد، ط1، دمشق، 1973.

16. شوقي أبو خليل، هارون الرشيد: أمير الخلفاء وأجّل ملوك الدنيا، دار الفكر المعاصر، د.ط، بيروت، 1996.

17. صالح الورداني، الشيعة من الامام علي إلى الخميني، مكتبة مدبولي الصغير، دط، القاهرة، 1993.

18. صبري خدمتلي، العقيدة والفرق الاسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، دت.

19. عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، العلماء والسلطة: دراسة عن دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول، دط، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، 2009.

20. عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين، دار العلم للملايين، دط، بيروت، 1997.

21. عبد العزيز البدري، الإسلام بين العلماء والحكام، منشورات المكتبة العلمية، دط، المدينة المنورة، دت.

22. عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1945.

23. عبد المنعم الحنفي، موسوة الفرق والجماعات الإسلامية، دار الرشاد، ط1، القاهرة، 1993.

24. عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب والأحزاب والحركات الاسلامية، مكتبة مدبولي، ط2، القاهرة، 1999.

25. علي الوردي، وعاظ السلاطين، دار كوفان، ط2، لندن، 1995.

26. فاروق عمر، التاريخ الاسلامي وفكر القرن العشرين، دار اقرأ، ط2، بيروت، 1985.

27. فاروق عمر، الثورة العباسية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1988.

28. فوزي عمر فاروق، طبيعة الدعوة العباسية، مكتبة الفكر العربي، دط، بغداد، 1987.

29. لخضر محمد بولطيف، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، ط1، بيروت، 2009.

30. محمد ابراهيم الفيومي، الفرق الاسلامية وحق الأمة السياسي، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1998.

31. محمد أبو زهرة، الأمام أبو حنيفة، حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، دت.

32. محمد أبو زهرة، الإمام أحمد بن حنبل: حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، دط، القاهرة، دت.

33. محمد أبو زهرة، الامام الشافعي، حياته وعصره آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، دت.

34. محمد أبو زهرة، الإمام زيد، حياته وعصره أراءه وفقهه، دار الفكر العربي، دط، الاسكندرية، 1959م.

35. محمد أبو زهرة، مالك، حياته وعصره آراؤه وفقهه، مكتبة الأنجلوالمصرية، دط، القاهرة، 1966.

36. محمد الخضري بك، محاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية، المكتبة التجارية الكبرى، د.ط، القاهرة، 1970.

37. محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، الفكر السامي، مطبعة النهضة، دط، تونس، دت،

38. محمد شريف عدنان الصواف، بين السنة والشيعة: المسائل الفقية التي خالف فيها الشيعة الامامية أهل السنة والجماعة، دار الحكمة، ط1، دمشق، 2006.

39. محمود اسماعيل، الحركات السرية في الاسلام، مؤسسة الانتشار العربي، ط5، بيروت، 1997.

40. محمود شاكر، التاريخ الاسلامي: الدولة العباسية: الكتب الاسلامي، ط1، بيروت، 2000.

41. نبيلة حسن محمد، في تاريخ الدولة العربية، دار المعرفة الجامعية، دط، مصر، 2004.

42. نزار محمد قادر، نهلة شهاب أحمد، دراسات في تاريخ الفكر السياسي الاسلامي، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 2000.

43. هولو جودت فرج، البرامكة: سلبياتهم وإيجابياتهم، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1990.

44. وائل حلاق، نشأة الفقه السياسي وتطوره، تر: رياض الميلادي، مر: فهد بن عبد الرحمن الحمودي، المدار الاسلامي، ط1، د م ن، 2007.

رسائل جامعية:

1. خالد محمد أحمد بديوي، الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية في عصر الخليفة المأمون، رسالة ماجستير، كلية البنات، عين شمس، مصر، 2001.

2. زينب خلف علي حراحشة، موقف فقهاء العراق من السلطة العباسية، رسالة ماجستر، جامعة آل البيت، كلية الآداب والعلوم، الأردن، 2003.

المجلات:

1. الفضل الشلق، الجماعة والدولة، جدليات السلطة والامة في المجال العربي الاسلامي، مجلة الاجتهاد، العدد 3، لبنان، 1989.

الفهرس

شكر وعرفان

إهداء

الفهرس

مقدمة.....أ – ي

مدخل.....11-24

الفصل الأول: الفقه والفقهاء في مطلع العصر العباسي 25 – 53

المبحث الأول: المذاهب الفقهية في العصر العباسي الأول.....26

أولا: تعريف الفقه..... 26

ثانيا: أشهر المذهب الفقهية.....28

المبحث الثاني: مكانة الفقيه والعلم الديني في الدولة العباسية.....37

المبحث الثالث: أهل السنة والجماعة.....46

أولا: مدرسة الرأي.....48

ثانيا: مدرسة الحديث.....51

الفصل الثاني: الفقهاء ومعارضة السلطة العباسية 55 – 87

المبحث الأول: المعارضة بالخروج.....57

المبحث الثاني: المعارضة السلمية.....65

المبحث الثالث: الإمتناع عن وظائف الدولة.....73

المبحث الرابع: رفض جوائز السلطان.....81

الفصل الثالث: الفقهاء ومساندة السلطة العباسية 88 – 115

المبحث الأول: دعم شرعية الحكم العباسي.....91

المبحث الثاني: العمل في وظائف الدولة.....100

المبحث الثالث: قبول جوائز السلطان.....112

خاتمة.....116

الملاحق.....120

قائمة المصادر والمراجع.....125

الفهرس.....138